عظات القديس مكاريوس الكبير

ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطي

العظة الخامسة عشر

القداسة والنقاوة

"هذه العظة تعلّم بالتفصيل، كيف ينبغي على النفس أن تسعى بالقداسة والطهارة والنقاوة نحو عريسها يسوع المسيح مخلّص العالم.

وتحتوى أيضا على بعض مناقشات مملوءة بفوائد عظيمة مثل: هل تقوم جميع الأعضاء في القيامة كاملة؟ وعن الشر، وعن الإرادة الحرة وعن كرامة الطبيعة البشرية "

خطبة المسيح للنفس :

1ـ إذا كان إنسان غنيًا جدًا وهو ملك عظيم، ويضع قلبه على امرأة فقيرة لا تملك شيئا سوى نفسها. ويصير محبا لها ويرغب أن يأخذها لتعيش معه عروسا له فحينئذ، إن هي أظهرت كل سخاء وخير ومحبة زوجها، مخصصةً أيضًا حبها له، فإن تلك المرأة الفقيرة المسكينة التي لم تكن تملك شيئا تصير سيدة مالكة لكل ما يخص زوجها.

ومن الناحية الأخرى، فإنها إذا تصرفت ضد ما هو واجب وضد الالتزام والمسئولية، وسلكت بما لا يليق في بيت زوجها، فإنها حينئذ تُطرد خارجًا في خزي ومهانة وعار، واضعة يديها على رأسها كما يقول العهد القديم بالرمز عن الزوجة التي لا تسلك بلياقة في الغنى العظيم الذي سقطت منه وأي مجد قد ضاع منها، وكيف تجردت من كرامتها بسبب حماقتها.

واجب النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي :

2 ـ وبنفس الطريقة فإن النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي لنفسه لأجل شركته السرية الإلهية، والتي قد تذوقت الغنى السماوي، يجب عليها بكل اجتهاد وإخلاص، أن ترضى المسيح حبيبها وتتم كل ما هو واجب ولائق، خدمة الروح التي أُستؤمنت عليها، وأن تُرضى الله في كل شئ، ولا تحزن الروح في أى شيء وتحفظ التواضع والمحبة بحسب ما هو واجب نحوه هو الذي فيه يكمن الكمال، وتسلك حسنا في بيت الملك السماوي بكل سخاء وخير وشكر قلب لأجل النعمة التي أعطيت لها.

فمثل هذه النفس تصير سيدة ومتولّية على كل خيرات الرب وحتى جسد مجد لاهوته يصير لها. ولكن إن سقطت، وسلكت ضد الواجب في خدمتها له ولم تفعل الأشياء التي ترضيه، ولم تتبع إرادته ولا تعاونت مع نعمة

الروح الحاضر معها، فإنها حينئذ تحرم من كرامتها وتصير في خزي ومهانة، وتنفي من الحياة، كأنها غير نافعة وغير مناسبة لشركة الملك السماوي. حينئذ يكون غم وبكاء ورثاء على هذه النفس من كل الأرواح القديسة غير المنظورة: فالملائكة والقوات، والرسل والأنبياء والشهداء يبكون عليها.

3 ـ فإنه كما قال الرب " يكون فرح في السماء" (لو7:15)، كذلك يكون أسف وبكاء في السماء على نفس واحدة تسقط من الحياة الأبدية. وكما أنه حينما يموت إنسان غنى، على الأرض، فإنه يُشيَّع بالموسيقى، والألحان الحزينة والولولة (العويل) من أخوته وأقاربه وأصدقائه ومعارفه، هكذا فإن جميع القديسين ينتحبون بألحان حزينة ومراثى على تلك النفس.

وهذا هو نفس ما يقوله الكتاب المقدس في موضع آخر بلغة رمزية "ولول يا سرو لأن الأرز سقط" (زكريا 2:11) .

فكما أن إسرائيل، حينما كان يظن فيه أن يرضى الرب ـ مع أنه لم يرض الرب أبدا كما ينبغي ـ كان لهم عمود سحاب يظللهم، وعمود نار يضيء عليهم، وقد رأوا البحر ينقسم أمامهم، والماء الصفي يخرج من الصخرة، ولكن حينما تحوّل قلبهم وقصدهم عن الله، أهلكتهم الحيّات وسُلّموا لأيدي أعدائهم فاقتيدوا إلى أسر مؤلم وعذبوا بعبودية مرة. وهذا ما يعلنه الروح سرّيًا بحزقيال النبى أيضًا، قائلاً عن مثل هذه النفس كأنها أورشليم " وجدتك عريانة في البرية فغسلتك من ماء نجاستك، وألبستك ثوبا، ووضعت عليك أساور في يدك وطوقا في عنقك وأقراطا في أذنيك. فخرج لك اسم بين جميع الأمم وأكلت السميذ والعسل والزيت، وبعد كل هذا نسيت خيراتي، وذهبت وراء عاشقيك وزنيت بخزي وعار" (أنظر حزقيال16:7ـ17).

لنتمم خلاصنا بخوف ورعدة :

4 ـ هكذا بالمثل فإن الروح يحذر النفس التي تعرف الله من خلال النعمة، بعد أن تتطهر من خطاياها السالفة وتتزين بزينة الروح القدس، وتصير شريكة في الطعام الإلهي السماوي، ولا تسلك كما يجب بتمييز وتحفظ، ولا تحافظ كما يجب على التوقير والحب للمسيح العريس السماوي، وهكذا تُرفض وتُطرد من الحياة التي كانت شريكة فيها قبلاً.

فإن الشيطان يمكن أن يقوم وينتهز فرصة حتى ضد أولئك الذين وصلوا إلى قامات مثل هذه، وحتى ضد أولئك الذين قد عرفوا الله في نعمة وقوة، فإن الخطية لا تزال ترفع رأسها وتسعى أن تسقطهم. لذلك ينبغي أن نجتهد، ونسهر على نفوسنا بتبصر وحكمة، وأن " نتمم خلاصنا بخوف ورعدة" كما هو مكتوب (في12:2)، فمهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فانظروا أن لا تسلكوا بازدراء أو عدم اهتمام في أى شئ، صغيرًا كان أم كان كبيرًا ولا تزدروا بنعمة الروح، حتى لا تُبعدوا من الحياة التي قد صرتم شركاء فيها.

5 ـ وسأكرر هذا بمثل آخر. فإذا جاء خادم إلى قصر الملك ليستخدم الأوانى الموجودة هناك، فهو يأخذ من الخيرات الخاصة بالملك ـ فهو لم يحضر معه شيئًا ـ ويخدم الملك بأوانى الملك الخاصة. هذا الخادم يحتاج هنا إلى

حكمة كثيرة وبصيرة وتمييز، حتى لا يرتكب خطأ في الخدمة، كأن يحضر إلى المائدة الملوكية نوع من الأطباق غير الذي كان يجب أن يحضره، بل ينبغي أن يرتب الأوانى على المائدة بنظام من الأول إلى الآخر بالترتيب السليم فإذا كان بسبب الجهل وعدم التمييز، لا يخدم الملك بالنظام السليم وبترتيب، فإنه يفقد مكانه ومعيشته في القصر. وبنفس الطريقة فإن النفس التي تخدم الله بالنعمة والروح يلزمها تبصر كثير ومعرفة لكى لا ترتكب خطأ في أوانى الله، أى في خدمة الروح ـ بعدم حفظ إرادتها الخاصة في توافق مع النعمة. فإنه من الممكن في مجال خدمة الروح التي تتم سرًا بواسطة الإنسان الباطن، أن تقوم النفس بخدمة الرب في أوان من عندها، أى بروحها هي، ولكن الله لا يمكن أن يُخدم بغير أوانى الله أى بغير النعمة حتى ترضيه وتعمل مشيئته في كل شئ.

الحاجة إلى الحكمة والتمييز :

6 ـ وحينما ينال الإنسان النعمة، فإنه يكون حينئذ في حاجة شديدة إلى الفهم والحكمة والتمييز ـ وهذه العطايا هي نفسها تُعطى من الله للنفس التي تطلبها منه ـ لكى يُعبد الله عبادة مقبولة بالروح الذي ناله الإنسان، ولا تهاجمه الخطية بغتة فيخطئ، ولا يُغوى بالجهالة والطياشة والإهمال ويسلك ضد ما تطلبه مشيئة الرب، لأن نتيجة هذه الأشياء العقاب والموت، والبكاء لمثل هذه النفس. فالرسول القديس يقول " لئلا بعد ما كرزت للآخرين أصير أنا نفسى مرفوضًا" (1كو27:9) وها أنتم تنظرون أى حذر وخوف كان عنده، مع أنه كان رسول الله، لذلك فلنتوسل إلى الله، نحن الذين حصلنا على نعمة الله، لكى نعبد عبادة الروح حسب مشيئته بأكثر مما هو معتاد، ولا يكون لنا شركة مع أفكار الاحتقار والعصيان، حتى إذا ما عشنا بطريقة مرضية للرب وعبدناه عبادة روحية حسب مشيئته فإننا إذ نحيا هكذا نرث الحياة الأبدية.

أعضاء الجسم وأعضاء النفس :

7 ـ هناك البعض عندهم عاهات في أجسامهم، فقد يحدث أن إنسانًا تكون بعض أعضائه صحيحة، كعيناه مثلاً، أو غيرها من الأعضاء، ولكن بقية أعضائه عاجزة، هكذا أيضا في العالم الروحي فقد يكون إنسان سليمًا وصحيحًا في ثلاثة أعضاء من روحه ولكن لا يكون كاملاً. فأنتم ترون كم للروح من مراحل ودرجات، وكيف أن الخطية يتم تصفيتها والتنقية منها على مراحل متتالية وليس دفعة واحدة، وأن عناية الله كلها وتدبيره للخليقة، وإشراق الشمس، وكل ما خلقه هذه جميعها إنما هي لأجل الملكوت الذي سيرثه المختارون لأجل تكوين ملكوت السلام والوئام.

نقاوة القلب وعدم إدانة الغير :

8 ـ لذلك يجب على المسيحيين أن يجتهدوا على الدوام، ولا يدينوا أحدا بالمرة ـ ولا يدينوا حتى الزانية في الشارع ولا الأثمة المشهورين بخطاياهم والمتمردين ـ بل وأن ينظروا إلى كل البشر ببساطة النية ونقاوة العين، حين يصير الأمر هكذا كقانون ثابت في الطبيعة أن لا يحتقر أحدًا، ولا يدين أحدًا، ولا يمقت أحدًا حتى ولا يجعل تمييزًا بين أشخاص الناس. فإن رأيت إنسانا بعين واحدة، فلا تنقسم في داخل قلبك، بل انظر إليه

وراعيه كما لو كان صحيحًا تمامًا. والإنسان الأقطع (ذو يد واحدة) انظر إليه كما لو كان بيدين، والأعرج تنظر إليه كالذي يسير معتدلاً، والمشلول كالصحيح.

هذه هي نقاوة القلب، أنك حينما ترى خطاة أو مرضى، أن تشفق عليهم وترثى لحالهم، وتكون حنونًا ومحبًا من نحوهم[1] ويحدث أحيانا أن قديسي الرب يجلسون في المراصد، وينظرون ضلال العالم وخداعه. فبحسب الإنسان الباطن هم يتخاطبون مع الله، ويصلون من أجل العالم ولكن بحسب الإنسان الخارجي فإنهم يظهرون للناس كأنهم يتأملون ما يحدث في العالم.

9 ـ إن أهل العالم هم تحت تأثير روح الشر الواحد، وهو يجعلهم يهتمون بالأمور الأرضية، أما المسيحيون فلهم هدف آخر، وفكر واهتمام آخر، فهم من عالم آخر ومدينة أخرى. إن روح الله له شركة مع نفوسهم، وهم يدوسون العدو تحت أقدامهم. فإنه مكتوب " آخر عدو يبطل هو الموت" (1كو26:15). فالأتقياء هم سادة لكل الأشياء، أما أولئك المتراخون في الايمان والخطاة فهم عبيد لكل الأشياء، والنار تحرقهم، والحجر والسيف يقتلانهم وأخيرًا تتسلط عليهم الشياطين.

قيامة الأجساد :

10 ـ سؤال: هل تقوم كل أعضاء (الجسم)، في القيامة؟

جواب: إن كل شيء سهل على الله، وهو قد وعد بالقيامة، رغم أن هذا يبدو مستحيلاً بالنسبة إلى الضعف البشري والفكر البشرى، لأنه كما أن الله أخذ من التراب ومن الأرض وكون الجسد بطبيعة أخرى مختلفة وغير مشابهة بالمرة للأرض، وجعل فيه أنواع أعضاء وعناصر كثيرة، مثل الشعر، والجلد، والعظام، والأوتار، أو كما أن الابرة إذا طرحت في النار، يتغير لونها وتصير نارًا، رغم أن طبيعة الحديد (المصنوعة منه الابرة) لا تنتزع بل تظل قائمة، كذلك أيضا في القيامة، فإن جميع الأعضاء تقوم، وحتى شعرة واحدة لا تهلك، كما هو مكتوب (لو18:21) وكل الأعضاء تصير مثل النور، وكلها تكون مغمورة في النور والنار، وتتغير تغييرًا حقيقيًا، ولكنها لا تتحلل وتصير نارًا خالصة كما يقول البعض، فلا يتبقى من قوامها الطبيعي شيء بالمرة على حسب ذلك الرأي، لا بل إن بطرس يظل هو بطرس، وبولس يظل هو بولس، وفيلبس هو فيلبس. وكل واحد يظل في طبيعته الخاصة وشخصيته ولكنه يكون مملوءً بالروح.

وأما إن قلت إن الطبيعة تتحلل وتفنى، فعندئذ لا يكون هناك وجود لبطرس أو بولس، أو أى شخص، ولا الذين ذهبوا إلى جهنم يحسون بعذابهم، ولا الذين دخلوا إلى الملكوت يشعرون بالغبطة والسعادة.

11ـ فإن قلنا إن هناك بستان زُرع فيه كل أنوع أشجار الفواكه، وكان فيه الكمثرى والتفاح والعنب، أشجارًا بثمارها وأوراقها، وهذا البستان تغيّر وكل الأشجار وأوراقها تحولت إلى طبيعة أخرى وصارت مثل النور، هكذا أيضًا فإن البشر يتغيرون في القيامة، وتتقدس أعضاؤهم وتصير مثل النور (نورانية).

الصبر واحتمال الاضطهاد :

12ـ فيجب إذن على رجال الله أن يَعدّوا أنفسهم للحرب والقتال فكما أن الشاب الشجاع يحتمل الضربات التي تأتى عليه في مباراة المصارعة ويردها ثانية، كذلك يجب على المسيحيين أن يتحملوا الشدائد التي من الخارج، والحروب التي من الداخل، لكيما ينتصروا بواسطة الصبر رغم أنهم يُضربون، فهذا هو المسيحي. لأنه حيثما يكون الروح القدس، فهناك يتبعه الاضطهاد والحرب كظل له.

فأنت ترى الأنبياء، كيف اضطهدهم أقرباؤهم من الأول إلى الآخر، بينما كان الروح القدس يعمل فيهم. وانظر كيف أن الرب، الذي هو الطريق والحق، كان مُضطهدًا ليس من أمة أخرى، بل من خاصته. وخاصته ـ أى شعب إسرائيل ـ هم الذين اضطهدوه وصلبوه. كذلك كان الأمر مع الرسل. ومنذ أن جاء الصليب نُزع الروح المعزى من محلة إسرائيل، وانتقل إلى المسيحيين وحلّ عليهم. ولم يُضطهد اليهود بعد ذلك، وصار المسيحيون وحدهم هم الشهداء.

لهذا السبب فلا ينبغي أن يستغرب المسيحيون ذلك. فلابد للحق أن يُضطَهد.

الخطية وقلب الإنسان :

13 ـ سؤال: يقول البعض إن الشر يدخل من الخارج وإن الإنسان يستطيع أن يمنعه من الدخول إذا أراد ويطرده عنه.

جواب: كما أن الحية تحدثت إلى حواء وبسبب إذعانها دخلت إلى داخلها، هكذا أيضًا إلى هذا اليوم فإن الخطية التي هي خارج الإنسان تدخل إلى داخله برضى وإذعان منه. فالخطية لها السلطان والحرية أن تدخل إلى القلب. لأن أفكارنا ليست خارجية بالنسبة لنا بل هي تأتى وتنبع من القلب في الداخل. فالرسول يقول: " فأريد أن يصلى الرجال في كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا مجادلات[2] رديئة". لأن هناك " أفكار تخرج من القلب" كما يقول الإنجيل (مت19:15).

فأدخل للصلاة وافحص قلبك وعقلك، وقرر في نفسك أن ترفع صلاتك نقيّة لله، وانظر جيدا ألاّ يكون هناك شيء يعوق صلاتك، وأن تكون صلاتك طاهرة، وانظر هل عقلك منشغل تمامًا بالرب، كما ينشغل الزارع بزراعته، والعريس بعروسه، والتاجر بتجارته، أم أنك بينما تحنى ركبتيك للصلاة يقوم آخرون بتشتيت أفكارك وسحبها بعيدًا.

إمكانية الخطية بعد المعمودية :

14ـ ولكنك قد تقول أن الرب قد جاء ودان الخطية بالصليب (رو 3:8) وأن الخطية لم تعد بعد ذلك موجودة في الداخل. ولكن إذا فرضنا أن أحد الجنود وضع عربته في داخل بيت أحد الناس، أفلا يكون له الحرية أن يدخل ذلك البيت ويخرج منه كما يريد. هكذا فإن الخطية لها حرية أن تجادل في داخل القلب. إنه مكتوب

أن الشيطان " دخل إلى قلب يهوذا" (يو13:27) وأما إذا قلت أن الخطية قد أدينت بمجيء المسيح، وأن الشر ليس له الحرية ـ بعد المعمودية ـ أن ينازع في داخل القلب، أفلا تعرف أنه منذ مجيء الرب إلى هذا اليوم، وكل الذين قد اعتمدوا، تحاربهم أفكار شريرة في بعض الأوقات؟.

وألم يتحول البعض منهم إلى المجد الباطل، وإلى الزنى، أو إلى الشراهة؟. وهل كل الناس الذين هم في داخل حدود الكنيسة، لهم قلوب نقية وبلا عيب. وألا نجد أن هناك خطايا كثيرة ترتكب بعد المعمودية، وأن كثيرين يعيشون في الخطية، إذن فحتى بعد المعمودية، فإن السارق "الشيطان" له حرية أن يدخل ويفعل ما يشاء.

محبة الله من كل القلب :

15ـ أنه مكتوب " تحب الرب إلهك من كل قلبك" (تث5:16) وأنت تقول "إني أحب الله، وعندى الروح القدس فهل عندك تذكّر مستمر للرب، ومحبة مشتعلة، وشوق حار إلى الرب؟. وهل أنت ملتصق ومرتبط بالرب بهذه الطريقة نهارًا وليلاً؟. فإن كان عندك محبة مثل هذه، فإنك تكون نقيًا، ولكن إن لم تكن لك، فحينئذ ينبغي أن تفحص باستمرار: إذا أتت في طريقك الأشغال الأرضية أو الأفكار الدنيئة الشريرة، هل يكون لديك ميل إليها، وهل تنجذب نفسك إلى المحبة والاشتياق لله باستمرار.

إن أفكار العالم تُحدر العقل إلى الأمور الأرضية الفاسدة ولا تدعه يحب الله أو يتذكر الرب. وقد يحدث من الناحية الأخرى أن إنسانا أميًا يذهب إلى الصلاة، ويحنى ركبتيه ويدخل عقله إلى الراحة وعلى قدر ما يحفر ويتعمق، فإن سور الخطية ينهدم أمامه ويدخل إلى الرؤيا والاستعلان والحكمة، حيث لا يقدر العظماء والحكماء والفصحاء أن يدخلوا إلى هناك ليفهموا ويعرفوا حالة عقله السامية، إذ أنه يكون مستغرقًا ومشغولاً بالأسرار الإلهية، والذي ليس له خبرة في تمييز القلوب لا يعرف كيف يقيّمها ويقدّرها، بسبب نقص الخبرة. والمسيحيون ينفرون من الأمجاد الأرضية ويحسبونها نفاية (في 3:8) بالمقارنة بعظمة وسمو تلك الأشياء، تلك العظمة التي تعمل بتأثيرها وفاعليتها فيهم.

النعمة والسقوط :

16 ـ سؤال: هل من الممكن أن يسقط الإنسان الذي له موهبة النعمة؟.

جواب: إن أهمل، فإنه يسقط. فالأعداء لا يتراخون أبدًا ولا يتوقفون عن الحرب، فكم بالأكثر جدًا ينبغي عليك أنت ألاّ تكف عن طلب الله. لأن الخسارة التي تحصل لك نتيجة الإهمال هي خسارة عظيمة جدًا، حتى لو ظننت في نفسك، أنك متدرب ولك خبرة في سر النعمة ذاته.

17 ـ سؤال : هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه ؟ .

جواب: إن مشيئة الله هي أن يرد الإنسان ثانية إلى الحياة ويحركه ليعود إلى البكاء والتوبة. فإن كانت النعمة تظل باقية، فإنما غرضها من ذلك أن تجعلك عاملاً جادًا بعزم شديد في توبتك عن تلك الأشياء التي سبق أن أخطأت فيها.

الكاملون ومحاربات الشيطان :

18- سؤال: هل الكاملون معرّضون لأن تحل بهم صعوبات أو حروب، أم أنهم أحرار تماما من كل هم وقلق ؟.

جواب: إن العدو لا يكف أبدا عن المحاربة. إن الشيطان عديم الرحمة في كراهيته للبشر، لذلك فهو لا يتوقف أبدا عن المحاربة ضد كل إنسان.. ولكن الظاهر أنه لا يهاجم الجميع بنفس الدرجة، فإن حكام الولايات والنبلاء في البلاط الملكي يدفعون الجزية للإمبراطور، والإنسان الذي في هذا المركز له ثقة في ثروته من الذهب والفضة، حتى أنه يدفع الضريبة من فائض دخله، ولا يشعر بأي خسارة. والإنسان الذي يعطى صدقة لا يشعر بأنه يخسر. وكذلك فإن الشيطان يعتبر هذا الأمر (أى عدم مهاجمته للبعض) أنه فضلّة وزيادة وأنه ليس بالأمر الخطير[3].

ولكن قد يكون هناك إنسان فقير، معدم حتى من القوت اليومي. وهو يُضرب ويُعذب لأنه لا يستطيع أن يدفع الضريبة، وقد يصرف وقته في احتمال الجلدات والانتهاكات المتكررة ويسوقونه أمامهم بالقوة، ولكنه لا يموت، بينما هناك إنسان آخر يصدر الأمر بقطع رأسه ويهلك في لحظة واحدة ـ وهكذا الأمر بين المسيحيين فالبعض منهم يحاربون بشدة ويُضيّق عليهم بالخطية، ومع ذلك يصيرون أكثر ثباتا وحكمة وتمرنا على الحروب.

ويحتقرون قوة العدو، ولا يكونون في خطر من هذه الناحية، لأنهم يكونون محفوظين من السقوط ومتيقنين من خلاصهم، لأنهم قد تمرنوا كثيرا في الحرب ضد الخطية والشر واكتسبوا خبرة عظيمة، ولأنهم حاصلون على حضور الله معهم، فإنه يقودهم ويكونون في راحة.

19- إلاّ أن البعض الآخر، الذين لم يتمرنوا بعد، فهؤلاء إن سقطوا في شدة واحدة وثارت عليهم الحرب، فإنهم يقعون في الخراب والهلاك.

انشغال القلب بالمسيح وحده :

ومثل المسافرون الذين يدخلون إلى مدينة ما، قاصدين أن يروا أحباءهم ومعارفهم، فحينما يقابلون أناسًا كثيرين في أسواق المدينة فإنهم لا يتوقفون بسببهم، وذلك لأن غايتهم هي أن يجدوا أصدقاءهم. وحينما يقرعون على باب أحبائهم من الخارج وينادون عليهم فإن أصدقاءهم الأعزاء يفتحون لهم بفرح، ولكنهم إن تلكأوا في الأسواق، وانخدعوا أو تعوّقوا بسبب أولئك الذين يقابلونهم فإن الباب يغلق ولا يفتح لهم أحد،

وهكذا أولئك الذين يسعوّن إلى الأمام ليصلوا إلى ربنا المسيح المحبوب الحقيقي، فينبغي أن يغضوا النظر عن كل من هم سواه ولا ينشغلوا بهم. فإن النبلاء والحكام، الذين يدخلون القصر إلى الملك، يكونون في خوف شديد من جهة ما يجاوبون به وكيف يتكلمون لئلا بسبب خطأ في إجابتهم عن أنفسهم ينتهي الأمر بهم إلى محاكمتهم وعقابهم، وأما عامة الشعب البسطاء، الذين لم تقع عيونهم قط على أمير، فإنهم يصرفون أيامهم بلا قلق أو همّ.

وهذا هو الحال مع هذا العالم الأرضي الذي تحت السماء ـ من الملك إلى أفقر الناس ـ فإذ لا يعرفون شيئًا عن مجد المسيح ـ فهم يهتمون فقط بأمور هذه الحياة الأرضية ولا يوجد بينهم حتى ولا واحد يتفكر في يوم الدينونة. أما أولئك الذين يأتون بأفكارهم أمام كرسي دينونة المسيح، حيث يكون عرشه، ويصرفون حياتهم في حضرته فإنهم يكونون في خوف ورعدة باستمرار، لكى لا يصنعوا أى خطأ من جهة وصاياه المقدسة.

تملّك النعمة على القلب :

20ـ وكما أن أغنياء الأرض حينما يحضرون ثمارًا كثيرة إلى مخازنهم، فإنهم يعملون أكثر فأكثر كل يوم ليحضروا ثمارًا أكثر، ليكون عندهم وفرة عظيمة، ولا يكون عندهم تناقص.

فلو أنهم اعتمدوا على الغنى المخزون في المخازن ولم يهتموا أن يضيفوا إليه وبدأوا يستعملون ما سبق أن خزنوا، فإنهم بعد فترة يقعون في الفقر والحاجة ولذلك فإنه يلزمهم أن يسعوا وأن يعملوا ويزيدوا دخلهم كثيرًا، لكى لا يتخلفوا. وهكذا الأمر في المسيحية، حينما نتذوق نعمة الله كما يقول " ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز8:34).

فهذا التذوق هو قوة فعّالة من الروح في ملء الثقة، بحسب خدمة الروح في داخل القلب. لأن كل الذين هم أبناء النور، ومن خدمة العهد الجديد في الروح القدس فهؤلاء لا يتعلمون شيئًا من الناس، بل هم يتعلمون من الله (يو45:6، 1تس9:4) فالنعمة نفسها تكتب على قلوبهم قوانين الروح.

لذلك فلا ينبغي أن يتكلموا فقط على الكتب المكتوبة بالحبر، فإن نعمة الله تكتب قوانين الروح وأسرار السماء على "ألواح القلب" أيضًا (2كو3:3). لأن القلب يحكم ويملك على كل حركات الجسد، وحينما تملك النعمة على مراعى القلب، فإنها بذلك تملك على كل الأعضاء والأفكار لأنه هناك ـ أى في القلب ـ يوجد العقل، وكل ملكات النفس وكل آمالها، لذلك فإن النعمة تنفذ أيضا إلى كل أعضاء الجسد (عن طريق القلب).

تملّك الخطية على القلب :

21 ـ ومن الجهة الأخرى، فإن كل أبناء الظلمة، تملك الخطية على قلوبهم، وتنفذ إلى كل أعضائهم " لأن من القلب تخرج الأفكار الشريرة" (مت19:15) وهكذا إذ تنتشر الأفكار الشريرة تجعل الإنسان في ظلمة. وأولئك الذين يقولون أن الشر لا يتولد في الإنسان وينمو في داخله، ربما لا يهتمون من جهة الغد، وقد لا تحاربهم شهوة، لأن الشر يكف فترة من الوقت عن إزعاجهم بتحريك نوع من الشهوة في داخلهم، حتى أن الإنسان يتجاسر على أن يقسم "إن هذه الشهوة لم تعد تهاجمني".

ولكن بعد فترة وجيزة يشتعل بالشهوة، حتى أنه يوجد حانثًا في القسم الذي أقسمه. وكما أن الماء يجرى في الأنابيب، هكذا تسرى الخطية في القلب والأفكار، وكل الذين ينكرون هذا فإن الخطية نفسها تدحضهم وتهزأ بهم، حتى ولو كانت الخطية لا تفكر في الانتصار عليهم، لأن الشر يحاول أن يكون مستترًا ومتخفيا في داخل عقل الإنسان.

المحبة لله وكرامة الإنسان :

22 ـ إن كان أحد يحب الله، فإن الله أيضا يخلط محبته بهذا الإنسان وإذا أؤتمن الإنسان مرة على محبة الله، فإن الله يزيد عليه من الإيمان السماوي ويصير الإنسان كائنا متكاملاً. فكل جزء من نفسك تقدمه لله، فإنه يخلط بنفسك شئ مثله من نفسه، حتى أن كل ما تفعله يُعمل بنقاوة، ويصير حبك نقيا وصلاتك نقية.

عظيمة هي كرامة الإنسان، فانظر عظمة السموات والأرض، والشمس والقمر، ولكن الرب لم يسر أن يستريح في هذه المخلوقات بل في الإنسان فقط. لذلك فالإنسان له قيمة أعظم من كل المخلوقات ولعلى أتجاسر وأقول ليس فقط المخلوقات المنظورة بل وأيضا أعظم من المخلوقات غير المنظورة، وأعظم حتى من " الأرواح الخادمة" (عب 4:1). فلم يقل الكتاب عن ميخائيل وجبرائيل رؤساء الملائكة " لنخلقهم على صورتنا كشبهنا" (تك26:1) بل قال هذا على الجوهر الروحي للإنسان، وأنا أعنى نفسه غير المائتة. لأنه مكتوب "إن ملائكة الرب تعسكر حول خائفيه" (مز6:34).

الاختلاف بين الإنسان والمخلوقات المادية

23 ـ إن المخلوقات المادية مرتبطة بطبيعتها التي خُلقت عليها.

فالسماء خُلقت لأجل الخير وكذلك الشمس والقمر والأرض ـ ولم تكن مسرة الرب فيها، رغم أنها لا تستطيع أن تتغير عن ما خُلقت عليه، كما أنها ليست لها أى إرادة. وأما أنت أيها الإنسان، أنت مخلوق على صورة الله ومثاله، لأنه كما أن الله له السيادة في نفسه ويفعل ما يشاء ـ فإذا أراد فله السلطان أن يرسل الأبرار إلى جهنم والأشرار إلى الملكوت ولكنه لا يُسرّ بأن يفعل هذا، ولا يقبل مجرد هذا الفكر، لأن الرب عادل وبار ـ وهكذا أنت أيضا فإنك سيد نفسك، فإذا اردت أن تهلك فيمكنك أن تفعل ذلك. وإذا اخترت أن تجدف أو أن تخلط سموما لكى تقتل إنسانا ما فلن يمنعك أو يعوقك أحد. فإذا أراد الإنسان يمكنه أن يخضع لله ويسير في طريق البر ويضبط شهواته. فإن عقلنا هذا هو قوة متوازنة وقد أُعطِيت له القدرة أن يُخضع حركات وشهوات الخطية المخجلة.

ينبغي محاربة الشر الساكن فينا :

24ـ وكما أنه في بيت عظيم، حيث توجد أوان من الذهب والفضة وأنواع ملابس مختلفة وأموال كثيرة، فإن الشبان والشابات الذين يعملون هناك يقمعون عقولهم رغم أن طبيعتهم ـ بسبب الخطية الساكنة فيهم ـ تشتهي كل هذه الأشياء. ولكن بسبب الخوف البشرى من سادتهم فإنهم يلجمون رغباتهم، فكم بالحرى جدًا حيث يوجد خوف الله ، فينبغي على الإنسان أن يحارب ويقاوم الشر الساكن فيه. فإن الله وضع عليك كل ما يمكن أن تفعله.

أن طبيعة الحيوانات غير العاقلة هي طبيعة مقيدة. فطبيعة الحية طبيعة مرة وسامة وهكذا تكون كل الحيات. والذئب طبيعته مفترسة، وكل الذئاب لها نفس الطبيعة. ووداعة الحمل تجعل منه فريسة وكل الحملان لها نفس الطبيعة، والحمامة ليس فيها غدر وإيذاء، وهكذا طبيعة كل الحمام. وأما الإنسان فليس مثل هذا. فهناك إنسان ما مثل ذئب مفترس، وآخر مثل حمل، ولذلك يكون فريسة، وكلاهما يصدران من أصل الطبيعة البشرية.

الطبيعة الإنسانية المتغيرة :

25 ـ فهناك إنسان لا يكتفي بزوجته ويسلك في الزنا بينما هناك إنسان آخر لا يحتمل حتى مجرد تحرّك الشهوة في قلبه. هناك إنسان ينهب ما لقريبه، وإنسان آخر يعطى كل ما عنده حبا لله. فها أنت ترى كم أن الطبيعة الإنسانية متغيرة. فإنك تجدها تميل إلى الشر، وتجدها تميل أيضا إلى الخير. وفي الحالتين تكون في وضع بحيث توافق وترضى بهذا العمل أو ذاك حسبما تشاء. فالطبيعة الإنسانية إذن قابلة للخير والشر، قابلة إما للنعمة الإلهية أو للقوة المعادية، ولكنها ليست تحت اضطرار أن تقبل هذه أو تلك.

إن آدم نفسه لما كان في حالة النقاوة كانت له السيادة على عقله، وجابه جبالاً من المصاعب لا يمكن احتمالها، ولكن منذ أن تعدى وصية الله اختلطت أفكار الشر بعقله فصارت كأنها أفكاره، مع أنه ولا واحدة من هذه الأفكار هي أفكاره أصلاً، لأن هذه الأفكار هي تحت سيادة الشرير.

الأفكار النقيّة هي الأفكار الطبيعية :

26ـ فينبغي إذن أن تطلب وتسعى للحصول على مصباح منير لكي تستطيع أن تجد الأفكار النقيّة. فتلك الأفكار هي الأفكار الطبيعية التي صنعها الله. فالناس الذين ينشأون على شاطئ البحر يتعلمون السباحة، وحينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج، فإنهم لا يندهشون منها، وأما أولئك الذين لم يعتادوا هذه الأشياء، فإن أتت عليهم زوبعة ولو ضئيلة فإنهم يرتعبون ويغرقون في البحر. وهكذا الأمر أيضا مع المسيحيين. فكما أن عقل الطفل في سن الثالثة لا يستطيع أن يتابع أو يفهم عقل الرجل البالغ المفكر، بسبب وجود فرق كبير في السن بينهما، هكذا المسيحيون فإنهم ينظرون إلى العالم مثل الأطفال، وعيونهم مرفوعة ومثبتة على قوة النعمة المعطاة لهم.

إنهم غرباء بالنسبة لهذا العالم، ومدينتهم ومكان راحتهم ليست في هذا العالم، فالمسيحيون لهم عزاء وروح ودموع وحزن وتنهد، وحتى الدموع هي راحة وتمتع لنفوسهم. ويوجد عندهم خوف أيضا، في وسط الفرح والتهليل،

ولذلك فهم مثل أناس يحملون دمهم في أيديهم، ولا يضعون ثقتهم في أنفسهم ولا يعتبرون أنفسهم أنهم شئ، بل هم محتقرون ومرذولون أكثر من كل الناس.

أي شيء لك لم تأخذه ؟

27 ـ فإذا افترضنا أن ملكًا أودع كنزه عند إنسان فقير. فالإنسان الذي أخذ مسئولية حفظ الكنز لا يتمسك به كأنه ملكه بل يعترف دائمًا بفقره ولا يتجاسر أن يبذّر ويصرف من كنز غيره. ويضع دائمًا في عقله، ليس فقط أن الكنز ليس ملكه، بل أيضا "أن الذي أودع الكنز عندى هو ملك مقتدر قوى، وحينما يشاء فإنه يأخذه منى" كذلك ينبغي على أولئك الذين ينالون نعمة الله أن يعتبروا أنفسهم هكذا، وأن يكونوا ذوى عقل متضع، ويعترفوا بفقرهم. وكما أن الإنسان الفقير الذى، أودع الملك الكنز عنده، إذا اعتمد على الكنز الذي لغيره وتفاخر به كأنه كنزه وبدأ عقله يتشامخ، فإن الملك يأخذ منه الكنز، ويصير الإنسان الذي كان عنده الكنز فقيرًا كما كان سابقًا، هكذا الذين يحصلون على النعمة إذا استكبروا وانتفخوا، فإن الرب يأخذ نعمته منهم ، ويرجعون إلى ما كانوا عليه قبل نوال النعمة من الرب.

خداع الخطية وثمرة الجهاد ضدها :

28 ـ وهناك كثيرون، بالرغم من أن النعمة حاضرة معهم، فإنهم ينخدعون بالخطية بدون أن يلاحظوا. فإذا افترضنا أنه كان في أحد البيوت فتاة عذراء، وكان هناك شاب أيضًا، فيحتال الشاب عليها ويتملقها حتى ترضى وتوافقه على شهواته، فتسقط وتفقد عفتها. كذلك الحيّة المرعبة، حيّة الخطية فهي تحضر دائمًا مع النفس، تداعبها وتغريها، فإذا وافقت النفس ورضيت، فإن النفس غير الجسدانية تدخل في ارتباط مع الشر غير الجسدانى الذي لذلك الروح (الشرير)، فالروح تدخل في ارتباط مع روح. والذي يرضى بإغواء الشرير، فإنه يزنى في قلبه، إذ يكون قد قَبِلَ ورضى بإيحاءات (الروح) الخبيث.

فهذه هي إذن درجة جهادك، أن لا ترتكب هذه الخطية في أفكارك، بل تقاومها بعقلك، وتحارب وتجاهد في الداخل، ولا تذعن لفكر الشر، ولا تعطى مكانا في أفكارك للتلذذ بما هو خاطئ، فإذا وَجَدَ الرب فيك هذا الميل والاستعداد فهو بلا شك، يأخذك إليه في ملكوته في اليوم الأخير.

الرب يسمح بالتجارب لامتحان الإيمان :

29ـ إن هناك أشياء يأمر بها الرب لكى لا يترك نفسه بلا شهادة من نعمته الإلهية ودعوته، وهناك أشياء أخرى يأذن بها الرب على سبيل السماح، لأجل امتحان الإنسان وتدريبه، لكى تظهر وتتضح حرية إرادته وتقريره وعزمه. فأولئك الذين هم في الشدائد والتجارب، إذا احتملوا وصبروا لا يسقطون من ملكوت السموات، لذلك فإن المسيحيين لا يقلقون ولا يكتئبون في ظروف الضيق.

وإذا امتحنوا بالفقر أو الآلام، فلا ينبغي أن يستغربوا ذلك، بل بالحرى أن يفرحوا بالفقر ويحسبوه كالغنى، وبالصوم ويحسبوه كالوليمة، وبالهوان وعدم الشهرة ويحسبونه مجدًا. ومن الجهة الأخرى، إذا وقعوا في ظروف

وأحوال مبهجة ومجيدة في هذه الحياة، قد تميل بهم إلى الراحة العالمية، أو الغنى أو المجد، أو الترف أو التنعم، فلا ينبغي أن يفرحوا بهذه الأشياء. بل أن يتجنبوها كما يتجنبون النار.

محبة الله ـ كرامة الإنسان ـ تدبير الخلاص :

30ـ وفي العالم الذي حولنا، إذا أثارت أمة صغيرة الحرب ضد الإمبراطور، فهو لا يهتم أن يدخل المعركة بنفسه، ولكنه يرسل جنودًا مع ضباطهم وهم يقومون بالقتال. ولكن إن كانت الأمة التي تثير الحرب ضده هي أمة عظيمة جدًا، وقوية لدرجة أنها تستطيع أن تخرب مملكته فإن الإمبراطور يضطر أن يخوض المعركة بنفسه ومعه رؤساء قصره وأبطال جنوده محركًا إياهم بنفسه في المعركة.

فانظر إذًا مقدار كرامتك (أيها الإنسان). فإن الله بنفسه قد تحرك بصحبة قواته ـ وإنما أعنى الملائكة والأرواح المقدسة ـ وجاء من أجلك بنفسه، ليحميك وينقذك من الموت. لذلك اهتم بنفسك جيدًا، وتأمل في نفسك ما أعظم التدبير الذي صنعه الرب لأجلك، ونستعمل توضيحا من هذه الحياة في العالم إذ أننا لا نزال نحيا في وسطها، فإذا افترضنا أن هناك ملكًا عظيمًا، يبحث ويفتش ليجد إنسانا في فقر ومعاناة، وهو لا يخجل منه، بل يعالج جروحه بأدوية شافية، ويحضره إلى قصره،

ويلبسه الأرجوان والتاج الملكى ويجعله شريكا في مائدته الملكية، فهكذا أيضا المسيح الملك السمائي جاء إلى الإنسان المجروح وشفاه وجعله شريكا في المائدة الملوكية، وذلك بدون أن يغتصب إرادته، بل بواسطة الحث والإقناع يجعله في مثل هذه الكرامة العظيمة.

الرب أعد لنا الملكوت ويدعونا لنرثه :

31 ـ إنه مكتوب في الإنجيل أن الرب أرسل عبيده، ليدعوا أولئك الذين يرغبون ويعلن لهم أن الغذاء قد أُعد، ولكن الذين دعوا بدأوا يستعفون فقال أحدهم " قد اشتريت خمسة أزواج بقر" وقال آخر " إني تزوجت بامرأة" (لو14: 16ـ20). فها أنت ترى أن الداعي كان مستعدًا، ولكن المدعوين رفضوا دعوته فهم وحدهم المسئولون عن رفض الدعوة.

إن كرامة المسيحيين هي عظيمة جدا فتأمل كيف أن الرب قد أعد لهم الملكوت، ودعاهم ليدخلوا فيه، وهم لا يريدون. ومن جهة الهبة التي سيرثونها، فيمكننا أن نقول إنه لو جاهد كل واحد من الناس منذ خليقة آدم إلى نهاية العالم، لو جاهد الجميع ضد الشيطان واحتملوا الشدائد فإنهم لا يفعلون شيئا بالمقارنة بالمجد الذي سيرثه كل واحد منهم، لأنه سيملك مع المسيح إلى دهور لا نهاية لها، فالمجد لذلك الذي أحب النفس هكذا. المجد له لأنه أعطى نفسه وأعطى نعمته لها واستودعها لهذا الشخص!.. فالمجد لعظمته!.

الاختلاف بين الإنسان الباطن والظاهر :

32 ـ بحسب كل المظاهر الخارجية، فنحن الأخوة جميعا الذين نجلس هنا الآن لنا صورة واحدة ووجه واحد وهي التي لآدم. حسنا، ولكن هل لنا في الخفاء أيضًا، في الأمور الداخلية، قصد واحد بيننا جميعًا، وقلب واحد؟ هل نحن جميعا واحد، في الصلاح والتقوى؟ أم أن البعض منا لهم شركة مع المسيح وملائكته والبعض الآخر لهم شركة مع الشيطان والأرواح الشريرة؟ ومع ذلك نحن جميعا ونحن نجلس معًا ظاهرين مثل إنسان واحد، وكل واحد منا يحمل نفس وجه آدم.

فها أنت ترى الفرق الكبير بين الجوهر غير المنظور، أى الإنسان الباطن وبين الإنسان الخارجي لأننا جميعا نشبه إنسانًا واحدًا، ومع ذلك فالبعض هم مع المسيح ، وملائكته والبعض مع الشيطان والأرواح النجسة. فالقلب له عمق لا قرار له. ففيه توجد غرف استقبال، وغرف للنوم، وأبواب وأروقة ومكاتب كثيرة، وممرات، وفيه يوجد معمل البر، أو معمل الشر. فيه الموت، وفيه الحياة، فيه توجد التجارة الصالحة وما هو ضدها أيضًا.

المسيح يقيم ملكوته في القلب :

33 ـ فإذا افترضنا أن هناك قصر عظيم جدًا، وهذا القصر أصبح مهجورًا، وامتلأ بكل رائحة رديئة وبجثث ميتة كثيرة. هكذا فإن القلب هو قصر المسيح، وهو مملوء بكل نجاسة وبجموع كثيرة من الأرواح الشريرة، فينبغي إذن إعادة تأسيسه وإعادة بنائه، وإعادة تنظيم مخازنه وغرف النوم التي فيه، لأن الملك نفسه أى المسيح يأتي إلى هناك هو والملائكة والأرواح المقدسة.

ليستريح وليسكن وليتمشى هناك ويقيم فيه ملكوته. وأنى أخبرك أن القلب هو مثل سفينة مزودة بكمية وافرة من حبال الأشرعة والبكرات، وفيها قبطان يدبر الكل، ويحدّد لكل واحد مهمته، ويصلح خطأ البعض منهم، ويبين لغيرهم ما هو الطريق، فالقلب أيضا له قبطان في العقل، وهو الضمير الذي يقوم دائمًا بمحاكمتنا، " والأفكار فيما بينها مشتكية أو محتجة" (رو2:15) .

الضمير وملكات القلب :

34ـ فأنت ترى أن الضمير لن يهمل أو يترك الأفكار التي تستجيب للخطية ، بل يحكم عليها في الحال. وهو لا يكذب، بل يشهد بما ينبغي أن يقوله أمام الله في يوم الدينونة، كأنه يقوم بمحاكمتنا بصفة مستمرة. فإذا افترضنا أن هناك مركبة ولجم، فإذا الخيل وكل جهاز العربة إنما هي تحت سيطرة سائق واحد فحينما يشاء فإنه يجعل المركبة تحمله بسرعة عظيمة، ومتى شاء فإنه يستطيع أن يوقفها.

وأي طريق يريد أن يميل إليها فإن المركبة تسير معه حسب ما يوجهها فالمركبة هي تحت سلطان السائق. وبنفس الطريقة فإن القلب له ملكات طبيعية كثيرة مرتبطة به، فالعقل والضمير هما اللذان يوبخان القلب ويقودانه، ويوقظان الملكات الطبيعية التي تنبع في القلب. إن النفس لها أعضاء كثيرة، رغم أنها هي واحدة.

35- ومن الوقت الذي فيه تعدى آدم الوصية، دخلت الحية إلى الداخل وجعلت نفسها سيدة البيت وصارت كأنها نفس ثانية إلى جانب النفس. لأن الرب يقول " من لا ينكر نفسه، ومن لا يبغض نفسه، فلا يكون لي تلميذًا" (لو26:14، 23:9) وأيضا "من يحب نفسه فسيهلكها" (مت39:10).

النقاوة والقداسة :

فالخطية لما دخلت إلى النفس صارت مثل عضو للنفس، واتحدت بالإنسان الجسداني، ولذلك فإن أفكارًا نجسة كثيرة تنشأ في القلب. فذلك الذي يعمل رغبات نفسه، فإنه يعمل رغبات الشر لأن الشر مختلط وممتزج بالنفس. والذي يجذب نفسه إلى الخضوع والطاعة، ويغضب مع نفسه وضد الرغبات التي تتحرك فيه، فهو مثل الذي يخضع مدينة العدو ويحكمها.

وهذا الإنسان يحسب أهلا للوصول إلى درجات الروح الصالحة ويكافأ بواسطة قوة الله بأن يصير إنسانًا نقيًا، ويجعله الله أعظم من نفسه (أعظم مما كان)، لأن مثل هذا الإنسان يؤله، ويصير ابنا لله، إذ يحصل على الختم السماوي على نفسه، لأن مختارى الله يمسحون بدهن القداسة ويصيرون أناسا ذوى مراتب بل وملوكًا.

36 - وهكذا هي طبيعة البشر. فمن عمق الخبث وعبودية الخطية قد يتحول الإنسان إلى الصلاح وقد يكون هناك إنسان مرتبط بالروح القدس وسكرانًا بالأمور السماوية ومع ذلك ففي استطاعته إذا أراد أن يتحول إلى الشر. ومثل امرأة تلبس الثياب الرثة، وتعانى الجوع وهي كلها قذرة، قد تصل بجهد كثير إلى المرتبة الملوكية، وتلبس الأرجوان والتاج، وتصير عروسا للملك. فهي تتذكر أحيانا حالتها السابقة القذرة وتخاف أن ترجع إلى حالتها القديمة،

ولكنها لا تختار بإرادتها أن ترجع إلى عارها السابق، لأن ذلك يكون حماقة عظيمة، وهكذا أولئك الذين قد ذاقوا نعمة الله وصاروا شركاء الروح القدس إذا لم يحترسوا لأنفسهم (يأخذوا حذرهم) فإنهم ينطفئون ويصيرون أردأ مما كانوا عليه قبلاً حينما كانوا في العالم. وليس معنى هذا أن الله متغير أو غير قادر أن يحفظهم، أو أن الروح نفسه هو الذي "ينطفئ" (1تس19:5)، بل أن الأشخاص أنفسهم هم الذين لا يوافقون النعمة ولا يتجاوبون معها، ولهذا السبب فإنهم يخفقون ويسقطون في شرور كثيرة. لأن أولئك الذين قد ذاقوا تلك النعمة، يكون حاضرًا معهم كل من الفرح أو العزاء والخوف أو الرعدة، أى البهجة والحزن معًا. إنهم ينوحون لأجل نفوسهم ولأجل كل جنس آدم (إذ أن الجنس البشرى كله هو واحد) وأن دموع مثل هؤلاء الأشخاص هي خبزهم وبكاءهم وحزنهم هو حلاوة وإنعاش لهم.

خطورة الكبرياء الانتفاخ :

37 - فإذا رأيت إنسانا متكبرا ومنتفخا بسبب ما ناله من نعمة فهذا الإنسان حتى لو صنع العجائب وأقام الموتى، ولكنه لم يعتبر نفسه أنه غير مستحق بل مزدرى، ويستمر مسكينًا بالروح ويبغض نفسه فإن

الخطية تخدعه دون أن يدرى وحتى إن كان يصنع العجائب فلا يمكنك أن تصدقه، لأن علامة المسيحية هي هذه، أن يكون الشخص ممدوحًا من الله بينما هو يسعى باجتهاد لتجنب ملاحظة الناس له وحتى إذا كان عنده جميع كنوز الملك فإنه يخفيها، ويقول باستمرار "إن هذه الكنوز ليست ملكي بل إن شخصًا غيري قد وضعها بين يدي. وأما أنا فإنسان فقير، وحينما يشاء صاحبها فإنه يأخذها منى،

فإذا قال أحد "أنا غنى وعندي الكثير وقد ربحت كثيرا ولا أحتاج إلى شيء أكثر" فهذا الإنسان ليس مسيحيًا، بل هو إناء للضلالة والشيطان. إن التمتع بالله إناء لا يشبع منه، فبقدر ما يذوق الإنسان منه ويأكل، فإنه يجوع أكثر. ومثل هؤلاء الأشخاص لهم حرارة ومحبة لله لا يمكن حصرها، وكلما سعوا للتقدم والنمو، كلما اعتبروا أنفسهم فقراء، كأولئك الذين هم في غاية الحاجة ولا يملكون شيئًا. وهذا ما يقولونه. "أنا لست أهلا لإشراق هذه الشمس على" وهذه هي علامة المسيحية ـ هذا التواضع ، وأما إن قال أحد "أنا قد شبعت وامتلأت" فهو خادع وكاذب.

التجلي وتمجيد الأجساد :

38 ـ وكما أن جسد الرب كان قد تمجد حينما صعد إلى الجبل وتجلى بالمجد الإلهي وبالنور غير المحدود، فهكذا ستتمجد أجساد القديسين وتضيء مثل البرق. فالمجد الذي كان في داخل المسيح فاض على جسده وأضاء، وبنفس هذه الطريقة ما يحدث في القديسين، فإن قوة المسيح التي في داخلهم ستنسكب في ذلك اليوم على أجسادهم من الخارج. فإنهم منذ الآن يشتركون في جوهره وطبيعته في عقولهم، لأنه مكتوب " الذي يقدس والذين يتقدسون جميعهم من واحد" (عب2:11). وأيضا " وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يو17:22).

وكما أن مصابيحًا كثيرة توقد من نار واحدة هكذا أجساد القديسين إذ هي أعضاء المسيح فإنها بالضرورة تصير مثل المسيح نفسه وليس شيئًا آخر.

الموت والحياة وحرية الاختيار :

39 ـ سؤال: ما هي أفضلية المسيحيين على آدم الأول؟ فإنه كان غير مائت وغير فاسد في الجسد وفي النفس معا، بينما المسيحيون يموتون ويأتون إلى الفساد.

جواب: الموت الحقيقي هو في الداخل، في القلب، وهو مختفي، والإنسان الباطن هو الذي يهلك، ولذلك فإذا انتقل أحد " من الموت إلى الحياة" (يو5:24) في ذلك المكان الخفي، فإنه يحيا حقيقة إلى الأبد ولا يموت أبدًا. ورغم أن أجساد مثل هؤلاء الناس تنحل إلى فترة من الزمن، إلا أنهم يقومون ثانيةً في مجد، لأنهم مقدسون. لهذا السبب نحن نسمى موت المسيحيين رقادًا وراحةً.

فلو أن الإنسان كان غير قابل للموت، وجسده محفوظ من التحلّل، فإن العالم كله حينئذ حينما يرون هذه الحقيقة الغريبة أن أجساد المسيحيين غير قابلة للفساد، فإنهم يأتون إلى فعل الخير بنوع من الإجبار وليس بحرية الاختيار.

40. فلكي تظهر حرية الإرادة وتظل ثابتة، تلك الحرية التي منحها الله للإنسان منذ البدء، لهذا السبب فإن العناية نظمت هذه الأمور، وجعلت تحلل الأجساد (أى الفساد) أمرًا واقعًا حتى يكون الأمر متروكًا لاختيار الإنسان وتمييزه أن يتحول إلى الخير أو إلى الشر. لأنه حتى الإنسان المتأصل في الشر والمتعمق في الخطية، والذي يجعل نفسه أداة للشيطان ليتسلط عليه تمامًا، فحتى هذا الإنسان ليس مربوطًا بأي اضطرار، بل إن له الحرية أن يصير " إناء مختار" (أع15:9)، إناء للحياة.

وبنفس الطريقة، فمن الناحية الأخرى أولئك الذين يتشربون باللاهوت، ولو كانوا مملوئين بالروح القدس وهم تحت سيادته، فإنهم ليسوا مُقيدين بأي اضطرار، بل لهم حرية الاختيار أن يتحولوا ويفعلوا ما يشاءون في العالم الحاضر.

النمو في النعمة بالتدريج :

41. سؤال:هل الشر يتناقص ويُستأصل بالتدريج، وهل يتقدم الإنسان في النعمة بالتدريج، أم أن الشر يُستأصل مرة واحدة حينما ينال الإنسان افتقادًا من النعمة؟.

جواب: كما أن الجنين في رحم أمه لا يتشكل إلى إنسان كامل مرة واحدة، بل تتكون فيه الصورة بالتدريج إلى أن يولد وحتى عند ولادته لا يكون رجلاً كامل النمو، بل يحتاج إلى سنوات لينمو، ويصير رجلاً، وأيضًا كما أن حبوب القمح أو الشعير لا تتأصل في الأرض بمجرد أن تلقى البذار فيها، بل تعبر عليها العواصف والرياح، وبعد ذلك تنبت السنابل في أوانها، والإنسان الذي يزرع شجرة كمثرى لا يأخذ من ثمارها في الحال، هكذا أيضا في الأمور الروحانية فإن فيها حكمة ودقة عظيمة، والإنسان ينمو رويدًا رويدًا إلى أن يصل " إلى إنسان كامل، إلى القامة التامة" (اف13:4) وليس كما يقول البعض، يخلعون معطفًا ويلبسون آخر بدله.

42 ـ والذي يريد أن يصير إنسانًا متعلمًا فإنه يبدأ أولاً بتعلم الحروف وحينما يتقنها فإنه يلتحق بالمدرسة الابتدائية في أول صفوفها وحينما يصل إلى آخر صف فيها، فإنه ينتقل إلى المدرسة المتقدمة كمبتدئ فيها وبعد ذلك حينما يصير "طالبًا باحثًا" فإنه يصير مبتدئًا بين المترافعين أمام القضاء وآخر واحد فيهم، وبعد ذلك حينما يرتفع إلى القمة بينهم فإنه يصير حاكمًا أو قاضيًا، وحينما يصل إلى درجة رئيس قضاة فيحق له أن يتخذ معاونا يساعده. فإذا كان في عالم الفكر توجد مثل هذه الدرجات من الارتقاء، فكم بالأولى يكون للأسرار السماوية درجاتها وارتقاءاتها، ويزداد عدد الدرجات، ثم بعد التمرن الكثير والامتحان فإن الإنسان الذي يجوز التجارب ويحتملها يصل إلى الكمال.

فالمسيحيون الذين ذاقوا النعمة حقا، وحملوا علامة الصليب في عقلهم وقلبهم. فهؤلاء ـ من الملك حتى الشحاذ ـ يعتبرون كل الأشياء التي في هذا العالم كنفاية ورائحة كريهة. وهؤلاء يستطيعون أن يعرفوا أن العالم الأرضى كله، وكنوز الملك، وكل غناه ومجده، وكل علوم الحكمة ليست إلا مظهرًا باطلاً، ليس له أساس ثابت، بل هو يعبر سريعًا، ويزدرون بسهولة بكل ما هو تحت السماء فإنهم يزدرون به بسهولة.

كرامة الإنسان العظيمة :

43ـ والسبب في ذلك هو أن الأشياء التي فوق السموات هي غريبة جدًا وعجيبة ولا يوجد منها في كنوز الملوك، ولا في حكمة الكلام، ولا في المجد العالمي والكرامات والغنى ـ إنما الغنى الحقيقي يملكه هؤلاء الذين يمتلكون الرب خالق كل الأشياء في عمق إنسانهم الباطن، وهو النصيب الذي لا يضمحل أو ينزع أو يعبر، بل يثبت ويبقى إلى الأبد. إن المسيحيين يعرفون جيدا أن النفس هي أثمن من جميع الأشياء المخلوقة، فإن الإنسان وحده هو الذي صنع على صورة الله ومثاله. انظر إلى السماء، ما أوسعها وانظر إلى الأرض وما فيها من مخلوقات ثمينة وأجسادها العظيمة، إلا أن الإنسان هو أعظم قدرًا من كل هذه الأجساد فهو وحده الذي سُرّ به الرب، حتى وإن كانت حيتان البحر، والجبال،

والوحوش أعظم من الإنسان في مظهرها الخارجي (إلا أن الإنسان أعظم من جميع المخلوقات) فتأمل في كرامتك وقدرك العظيم، حتى أن الله جعلك فوق الملائكة، لأنه لأجل معونتك وخلاصك جاء هو بنفسه شخصيًا إلى الأرض.

44ـ إن الله وملائكته قد جاءوا[4] لأجل خلاصك. فالملك، ابن الملك تشاور مع أبيه، ولهذا أرسل الكلمة، ولبس لباس الجسد وحجب لاهوته الخاص لكى يخلّص المثيل بالمثيل (أى يخلص الإنسان بالإنسان) وبذل حياته على الصليب. فما أعظم محبة الله للإنسان. فإن غير المائت اختار أن يصلب لأجلك فانظر إذن إلى أى درجة " أحب الله العالم"، لأنه " بذل ابنه الوحيد لأجلهم" (يو16:3) " فكيف لا يهبنا معه كل شئ" (رو32:8)

وفي موضع آخر يقول " الحق أقول لكم، إنه يقيمه على جميع أمواله" (مت47:24) وفي مكان آخر يبين بوضوح أن الملائكة هم خدام للقديسين، فحينما كان إليشع في الجبل وأتى عليه الغرباء، قال له خادمه أن كثيرين قد أتوا علينا ونحن وحدنا ـ حينئذ أجابه إليشع ألا تبصر المعسكرات وجماهير الملائكة التي تحيط بنا وتحمينا (انظر 2مل15:6ـ18) وهكذا فإن الرب نفسه مع جموع الملائكة يحضرون مع عبيده، فما أعظم النفس، وما أكرمها عند الله، لأن الله نفسه وملائكته يطلبونها لأجل الشركة معهم ولأجل الملكوت!. وأما الشيطان وقواته فإنهم يسعون وراءها لكى يجذبونها إلى ناحيتهم.

45ـ وكما أنه في العالم الطبيعي لا يقوم بخدمة الملوك أشخاص غير مهذبين أجلاف إنما يقوم بخدمتهم أناس حسنو المنظر مهذبون، هكذا في القصر السماوي فإن الذين يخدمون الملك السماوي هم أولئك الذين بلا عيب، وبلا لوم والأنقياء القلب. وكما أنه بالقصر الأرضي يقوم بخدمة الملوك عذارى جميلات، ليس فيهن عيب بل هن أكثر النساء وسامة، هكذا أيضا في الأمور الروحانية فالنفوس التي تتزين بكل سيرة صالحة وقداسة هي التي تكون في صحبة الملك السمائي. وفي العالم المنظور حينما يذهب ملك ليقيم في مكان ما،

فإذا حدث أن ذلك المكان كان فيه شيء غير نظيف، فإنه حالاً يُنظف ويُنظم بنظافة ونظام كامل وتسكب فيه الروائح العطرة الكثيرة، فكم بالأكثر جدًا يحتاج بيت النفس، الذي يستريح فيه الرب إلى تطهير وتنقية، ليستطيع

الرب أن يدخل فيه ويستريح هناك فإنه هو بلا عيب ولا دنس. وفي مثل هذا القلب المُطَهر يستريح الله وكل الكنيسة السماوية.

الله يعطينا أمجاده الخاصة :

46 ـ وفي عالم البشر، إن كان أب له أملاك كثيرة وعنده تيجان وأحجار كريمة فإنه يخفيها في مخازن البيت محتفظًا بها لابنه الحبيب، ولهذا الابن يعطى كل كنوزه. هكذا فإن الله قد ائتمن النفس على ما عنده، وعلى كل أمجاده الخاصة الثمينة. وفي العالم، إذا ثارت حرب، وجاء الملك بجيشه للقتال ووجد أنه أضعف في العدد أو في القوة من الجانب الآخر، فإنه يرسل في الحال رسولاً ليطلب شروط الصلح (لو32:14).

وأما إذا قامت أمة عظيمة جدا في الحرب مقابل أمة عظيمة معادلة لها وملك عظيم في مقابل ملك مثله ـ مثل ملك الفرس مثلاً ضد ملك الرومان ـ فحينئذ يضطر الملكان أن يتحركا بكل قواتها في هذه الحرب . فانظر إذن عظمة كرامتك أن الله قد تحرك مع كل قواته أى الملائكة والأرواح ـ لمحاربة العدو لكى ما يخلصك من الموت. فالله إذن إنما جاء من أجلك.

ما فعله الله لأجل خلاصنا :

47ـ وإذا افترضنا أن ملكًا وجد إنسانًا فقيرًا مملوءًا بالبرص في كل جسده، ولم يخجل منه بل وضع أدوية على جروحه وشفي قروحه، ثم أخذه إلى المائدة الملوكية وألبسه الأرجوان وجعله ملكًا، فهذا هو ما فعله الله مع جنس البشر. إنه غسل جروحهم وشفاهم، وأتى بهم إلى مجاله السماوية. فما أعظم كرامة المسيحيين حتى أنها لا يمكن مقارنتها بشيء آخر. ولكن إذا تكبّر المسيحي وسمح للخطية أن تسرقه فإنه يكون مثل مدينة لا سور لها فيدخل اللصوص إليها من أى ناحية يريدون، دون أن يعوقهم شئ، فيخربونها ويحرقونها.

لذلك، إذا كنت تأخذ الأمور باستهانة ولا تحترس لنفسك فإن أرواح الشر تأتى عليك وتظلم عقلك وتخرّبه وتشتت أفكارك في أمور هذا العالم الحاضر.

48ـ إن كثير من الناس هم مثقفون جدا من جهة الأشياء الخارجية ولهم معرفة وعلم ويعتنون بنظام معيشتهم وآداب الحياة، ويعتبرون أن ذلك هو الكمال، دون أن ينظروا نظرة عميقة في داخل قلوبهم، ودون أن يروا الشرور التي تحبس النفس . وبحسب المعنى الداخلي للشر فهو جذر مختفي في داخل القلب وفي الأعضاء. والسارق موجود في داخل البيت وأعنى به القوة المعادية وهي قوة متحدية غير منظورة،

فإذا لم يضع الإنسان في نفسه أن يحارب الخطية، فإن الشر المختفي في الداخل ينتشر تدريجيًا، ويزداد ويتكاثر حتى يجعل الإنسان يرتكب الخطايا ظاهرًا وعلانية. إن عنصر الشر يفور إلى أعلى مثل عين الينبوع. فاهتم إذن أن توقف مجارى الخطية، وإلا فإنك ستسقط في آلاف من الأشياء الخاطئة وتصير مثل إنسان في حالة غيبوبة. فإذا افترضنا أن هناك أحد النبلاء يعيش في رخاء ووفرة ثم قام جنود الوالي وخدامه بالقبض عليه وحملوه إلى

الحاكم قائلين "إنك متهم اتهامات خطيرة وأنك في خطر قطع رأسك. فبسبب هذه الأخبار المخيفة، يفقد توازن عقله ويصير مثل إنسان في حالة غيبوبة.

سبب الحيرة والاضطراب في حياة الناس :

49ـ فافهم إذن، أن هذا هو ما تفعله أرواح الشر ضد الإنسان. إن العالم الذي تراه حولك، ابتداءً من الملك حتى الشحاذ، جميعهم في حيرة واضطراب وفتنة وليس أحد منهم يعرف السبب في ذلك، مع أن السبب هو ظهور الشر الذي دخل داخل الإنسان عن طريق معصية آدم، وأعنى به " شوكة الموت" (1كو15:56).

لأن الخطية التي زحفت إلى الداخل، إذ هي نوع من القوة غير المنظورة من الشيطان، وهي قوة حقيقية، قد زرعت في الإنسان كل أنواع الشر. وهي تعمل سرًا في الإنسان الباطن دون أن يلاحظها أحد، وتعمل في العقل، وتحارب ضد الأفكار؛ ولكن الناس لا يدركون أنهم يفعلون الشرور بتأثير قوة غريبة تعمل فيهم، وهم يظنون أن ما يفعلونه هو أشياء طبيعية، وأنهم إنما يفعلون هذه الأشياء باختيارهم. وأما أولئك الذين حصلوا على سلام المسيح في عقولهم وحصلوا على نوره في داخلهم، فإنهم يعرفون جيدا منبع كل هذه الحركات الشريرة.

50 ـ إن العالم مستعبد لشهوة الخطية، وهو لا يدرى، وهناك نار نجسة تشعل القلب وتنتشر إلى كل الأعضاء، وتحث الناس على فعل الشهوات، وعلى آلاف خطايا أخرى. فأولئك الذين يدعون أنفسهم أو يسمحون لأنفسهم أن تداعبها الخطية فيبتهجون بها، إنما يرتكبون الخطية داخليًا في القلب. وهكذا يجد الشر مكانًا له فيهم، إلى أن يسقطوا في النجاسة المكشوفة ـ ولاحظ أن نفس هذا الأمر هو حقيقي. كذلك فيما يخص محبة المال، والمجد الباطل والكبرياء والحسد والغضب.

وإذا دُعي إنسان إلى وليمة ووضعت أمامه أنواع أطعمة كثيرة، فإن الخطية تقترح عليه أنه ينبغي أن يأكل منها جميعًا، وهكذا فإن نفسه تسر بهذا الإيحاء وتثقل بأثقال فوق طاقتها. فإن الشهوات هي كجبال ثقيلة لا تحتمل وتوجد في وسطها أنهار من التنانين والوحوش السامة والثعابين. وكما يبتلع الحوت إنسانًا في بطنه، هكذا تبتلع الخطية النفوس.

إنها لهب نار حارقة وسهام ملتهبة من الشرير. فالرسول يقول " لكى تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة" (أف6:16) لأن الخطية وجدت لها مكانا في النفس. ووضعت أساساتها حول النفس.

حالة الحكماء بالروح :

51ـ وأما الذين صاروا حكماء بالروح، فإذا تحركت الشهوات فيهم، فإنهم لا يستسلمون لها البتة بل يغضبون على الرغبات الشريرة ويصيرون أعداء لأنفسهم ويبغضونها. لأن الشيطان يشتهي كثيرا أن يستريح في النفس ويوسع دائرته في داخلها وهو ينزعج ويتضايق حينما ترفض النفس الإذعان له.

إن بعض الأشخاص هم تحت سيادة القوة الإلهية، هؤلاء الذين إذا رأوا فتى مع امرأة فربما يفكرون قليلاً، ولكن عقلهم لا يتنجس البتة، ولا يخطئون في داخل قلوبهم، ومع ذلك فليس من الممكن أن يطمئن الإنسان ويثق في جسده في هذه الحالة. ويوجد آخرون يكون أصل الشر فيهم منطفئا ويابسًا أى قد انتهي منهم، ولكن هذه هي درجات العظماء بالنعمة حقا.

وكما أن الناس في مجال تجارة اللآلئ يغوصون عراة في أعماق البحر في أعماق المياه، ليجدوا هناك اللآلئ التي تصلح لزينة التيجان الملوكية والأرجوان الملوكي، هكذا أولئك الذين يعتنقون طريق الحياة التوحدية، يخرجون عراة من العالم، وينزلون إلى أعماق بحر الشر وإلى هاوية الظلمة، ومن تلك الأعماق يخرجون حجارة كريمة مناسبة لتاج المسيح وللكنيسة السماوية، وللعالم الجديد، ولمدينة النور، ولمحفل الملائكة.

52ـ وكما أن الشبكة تجمع أنواعًا كثيرة من السمك فتطرح الأصناف الرديئة في البحر ثانية، هكذا فإن شبكة النعمة تنتشر على الكل وتطلب القبول والرضا، ولكن كثيرًا من الناس لا يوافقونها، ولذلك فإنهم يطرحون ثانية إلى هوة الظلمة العميقة.

وكما أن الذهب يوجد بعد أن ينقى من وسط رمل كثير، على شكل ذرات صغيرة، هكذا فإنه من وسط كثيرين يوجد قليلون يثبتون مع التمحص. فأولئك الذين لهم عمل الملكوت هم ظاهرون وكذلك أولئك الذين يلبسون فقط كلمة الملكوت هم ظاهرون أيضًا.

والمُملحون بالملح السماوي يصيرون ظاهرين وكذلك الذين يمتلئون من كنوز الروح. وكذلك فالأواني التي يسر الله بها هي ظاهرة أيضًا، وهو يعطيهم نعمته الخاصة، وآخرون، بالصبر الكثير ينالون قوة التقديس بأنواع مختلفة كما يشاء الرب. فذلك الذي يتكلم، إذا لم يكن منقادًا ومُرشدًا بالنور والحكمة السماوية، فإنه لا يستطيع أن يرضى ويشبع عقول الجميع، إذ أنه توجد أغراض كثيرة مختلفة، والبعض يكون في حالة حرب والبعض في راحة.

تطهير القلب والبناء الجديد :

53 ـ وإذا كانت هناك مدينة خربة وأراد أحد الناس أن يعيد بناءها من جديد فإن أول شيء يفعله، هو أن يهدم تماما كل الأشياء المتهدمة الساقطة وهكذا يبدأ في الحفر ويضع الأساسات وهكذا يرتفع البناء رغم أنه لا يكون قد تم بناء بيت واحد بعد. وذلك الذي يريد أن يقيم حديقة جميلة في مكان قفر كريه الرائحة فإنه يبدأ أولا في تنظيف المكان وعمل سياج حوله وإعداد قنوات المياه، ثم بعد ذلك يغرس البستان، فتنمو الأشجار وهكذا بعد وقت طويل يأتي البستان بالثمر، وهكذا قلوب البشر منذ السقوط ،قد جفت وصارت خربة ومملوءة بالأشواك. لقد قال الله للإنسان " شوكا وحسكا تنبت لك الأرض" (تك18:3).

لذلك فالأمر يحتاج تعبًا كثيرًا وجهدًا لكى يطلب الإنسان الأساسات ويضعها، إلى أن تأتى النار إلى قلوب الناس، وتبتدئ في اقتلاع الأشواك وتنقية القلوب، وهكذا يبتدئون أن يتقدسوا فيمجدون الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

---

[1] قارن بالعظة الثامنة فقرة6 .

[2] الكلمة المترجمة "مجادلات" في الأصل اليوناني في1تيمو8:2 هي نفس الكلمة المترجمة "أفكار" في إنجيل متى 19:15 .

[3] القديس مقاريوس يقصد أن الشيطان يمكنه أن يحتمل أن يترك البعض بدون حرب، وهذه تكون بالنسبة للشيطان مثل الضريبة بالنسبة للغنى، أو الصدقة بالنسبة للمحسن فهي لا تشكل أى خسارة بالنسبة له.

[4] المقصود بمجيء الملائكة لخلاص الإنسان هو خدمتهم للعتيدين أن يرثوا الخلاص لأنهم "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"(عب14:1) (المعرب) .

العظة السادسة عشر

أنت مدعو إلى فوق رغم التجارب

"الأشخاص الروحانيون يتعرضون لتجارب وشدائد مصدرها الخطيئة الأولى"

خُلقنا في حالة البراءة ـ الشر نتج من حرية الإرادة :

1ـ كل الجواهر الروحانية، أى الملائكة والنفوس البشرية والشياطين، كل هؤلاء قد خلقهم الخالق في حالة البراءة والبساطة التامة. أما كون البعض منهم قد تحولوا إلى الشر فهذا ناتج من حرية إرادتهم. فباختيارهم حادوا عن طريق التفكير السليم. فإذا قلنا أن الله خلقهم هكذا أشرارًا، فإننا بذلك نجعل الله قاضيا ظالما بإرسال الشيطان إلى النار. إن بعض الهراطقة قد قالوا أن المادة أزلية أى ليس لها بداية، وأن المادة هي أصل كل الأشياء. وأن هذا الأصل هو القوة، وهي قوة كافية بذاتها. وهذا الكلام نجيب عليه قائلين: "أية قوة إذن هي القوة الغالبة؟.

هي بالتأكيد قوة الله، إذن فالمغلوب ليس معادلا للغالب لا في القوة ولا في الزمن". وأولئك الذين يقولون أن الشر هو جوهر حقيقي، لا يعرفون شيئًا. فبالنسبة إلى الله ليس هناك شر جوهري وذلك لأن الله حسب طبيعته الإلهية غير قابل للشهوات والأهواء ، أما نحن فإن الشر يعمل فينا بقوة كاملة ويجعل نفسه محسوسًا ويوحي بكل الشهوات الرديئة ولكن الشر ليس مختلطًا بنا، كاختلاط الخمر بالماء كما يقول البعض،

ولكنه مثل الزوان مع القمح فالقمح وحده والزوان وحده، رغم أنهما موجودان في نفس الحقل، كما أنه في بيت واحد قد يوجد اللص في جزء منه، ورب البيت في جزء آخر.

اختلاط الخطية بالنفس :

2ـ إن ينبوع الماء ينبع ماءا صافيًا رغم أنه يوجد طين أسفل الينبوع تحت الماء. فلو أن أحدًا حرك الطين، فإن الينبوع كله يتعكر. وهكذا النفس حينما تثار فإنها تتنجس وتختلط بالشر، ويصير الشيطان واحدا مع النفس، كروحين متفقين، في فعل الزنا أو في القتل. لهذا السبب " فالذي يلتصق بزانية هو جسد واحد" (1كو16:6) ولكن في لحظة أخرى تكون النفس قائمة بذاتها، تائبة عما فعلته من خطية،

وتبكى وتصلى وتتذكر الله، لأنه لو كانت النفس غارقة دائمًا في الشر فكيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ إذ أن الشيطان لا يريد أبدا أن يقبل الناس إلى التوبة. لأنه خال من كل رحمة أو شفقة.

شركة الروح القدس مع النفس :

والزوجة باتفاقها مع زوجها تصير واحدا معه ، ولكنها في لحظة أخرى يفترقان، لأنه قد يحدث أن أحدهما يموت والآخر يعيش. وعلى مثال هذه الشركة تكون شركة الروح القدس مع النفس. فيصيران روحًا واحدًا " لأن من التصق بالرب فهو روح واحد" (1كو17:6) وهذا الأمر يحدث عندما يمتلئ الإنسان بالنعمة فتحيطه من كل ناحية.

3ـ ولكن يوجد البعض من الذين حصلوا على تذوق الله، ولكنهم لا يزالون خاضعين لتأثير العدو، وهم يستغربون بسبب نقص خبرتهم، أنه بعد افتقاد الله لهم بالنعمة فإنهم لا يزالون معرضين للتشكيك في أسرار الايمان المسيحي. وأما أولئك الذين نضجوا فلا يستغربون هذا الأمر. وكما أن الفلاحين المهرة بسبب طول الخبرة، فإنهم في زمن الرخاء لا يزال عندهم حذر وحرص، وينظرون إلى أوقات القحط والغلاء،

ومن الجهة الأخرى فحينما تأتى أوقات الغلاء والقحط فإنهم لا يتضجرون وييأسون لأنهم يتوقعون تغير الحال إلى الأفضل في المستقبل، وهكذا هو الحال في الأمور الروحية حينما " تقع النفس في تجارب متنوعة" (يع2:1). فحينما تقع النفس في تجارب متنوعة، فهي لا تعتبره أمرًا غريبًا من ناحية، ومن الناحية الأخرى لا تيأس لأنها تعلم أن التجارب تأتى بسماح لأجل امتحانها وتهذيبها بالشر الذي يقابلها.

ومن الناحية الأخرى فحينما تكون في غنى كثير واطمئنان فإنها لا تتخلى عن اليقظة والحذر، بل تضع في اعتبارها احتمالات تغير الحال في المستقبل.

إن الشمس التي هي جسم مخلوق، تضئ في الأماكن ذات الرائحة الرديئة، حيث يوجد الوحل والقاذورات، دون أن تصاب الشمس بأى أذى أو نجاسة، فكم بالحرى جدا يحتفظ الروح القدس النقى بشركته مع النفس، حينما تكون تحت تأثير من الشرير، دون أن يصبه (أى الروح القدس) أى شيء من هذا الشر. "والنور يضئ في الظلمة والظلمة لا تدركه" (يو5:1).

الرجاء الثابت وعدم اليأس :

4ـ لذلك فحينما يكون الإنسان في عمق (الروح)، وهو غني بالنعمة، لا يزال فيه بقية من الشر موجودة معه. ولكن يوجد له معين قريب منه ليسعفه ويعينه. لذلك فحينما يكون الإنسان في الشدائد وتثور عليه موجات عظيمة من الأهواء فلا ينبغي أن ييأس، لأن اليأس يجعل الخطية تزدهر وتجد فرصة أكثر للتملك على الإنسان. ولكن حينما يكون للإنسان رجاء مستمر ثابت في الله، فإن الخطية تتناقص وتذوى وتجف.

إن الشلل والتشوهات، والحمى أو الأمراض، هذه كلها ناتجة عن الخطية. لأن الخطية هي أصل كل الشرور، وكل الشهوات الناتجة عن أهواء النفس أو من أفكار الشر، إنما ترجع كلها إلى الخطية. فإن كان هناك نبع ماء جارى ـ وتحيط به مستنقعات وأراض رطبة موحلة، ومع ذلك فحينما يأتي عليه الحر، فإن النبع وما يحيط به من أراض ـ يجف تمامًا، هكذا الحال مع عبيد الله الذين تفيض فيهم النعمة وتزداد، فإن هذه النعمة تجفف الشهوة سواء كانت من العدو الشرير، أو من الطبيعة (طبيعتهم البشرية)، فإن رجال الله الآن، أعظم من آدم الأول.

الله في كل مكان :

5 ـ إن الله غير محدود وغير مدرك وهو يُظهر نفسه في كل مكان، في الجبال، وفي البحر، وفي الأعماق، ولكن بدون أن ينتقل من مكان إلى آخر مثل الملائكة الذين ينزلون من السماء إلى الأرض. فهو في السماء، وهو هنا على الأرض. ولكنك ستقول لي "كيف يمكن أن يكون الله في الجحيم ؟ أو كيف يمكن أن يكون في الظلمة، أو في الشيطان، أو في الأماكن الفاسدة؟

"فأجيبك أن الله غير قابل للتأثر بالشر ويحوى كل الأشياء، لأنه غير محدود، وأما الشيطان الذي هو خليقة الله، فهو مقيد. أما طبيعة الصلاح (الله) فلا تؤثر فيها النجاسة أو تلوثها كما أن الظلمة لا تستطيع أن تجعله مظلمًا. فإذا قلت إنه لا يحوى كل الأشياء بما فيها الجحيم والشيطان، فإنك بذلك تجعله محدودًا من جهة المكان الذي يوجد فيه العدو الشرير، وعلى هذا الأساس يقتضى البحث عن إله آخر أعلى منه. فالله إذن يلزم أن يكون في كل مكان. ولكن اللاهوت له طبيعة سامية ونقية جدًا حتى أن الظلمة، لا تستطيع أن تدركه أو تفهمه، ولا يستطيع الشرير أن يشترك في نقاوته رغم أنه موجود فيه. وبالنسبة لله لا يوجد شر جوهري حيث إن الشر لا يستطيع أن يصيبه بأي أذى.

لنحول أفكارنا إلى المسيح :

6ـ أما بالنسبة لنا، فالشر حقيقي، لأنه يسكن في القلب ويعمل فيه إذ أنه يوحى بالأفكار الشريرة والمنجسة، ولا يدعنا نصلى نقاوة، بل يجذب عقولنا إلى العبودية لهذا العالم، وقد جعل النفوس ملبسًا له وتغلغل حتى إلى عظامنا ولمسها مع أعضائنا.

فكما أن الشيطان موجود في الهواء، وكما أن الله موجود هناك، فإن الله لا يصاب بأي أذى نتيجة وجوده مع الشيطان في الهواء. وهكذا فإن الخطية موجودة في النفس ونعمة الله موجودة فيها كذلك دون أن تصاب نعمة

الله بأى أذى وكما أن الخادم الذي يكون بجوار سيده هو في خوف مستمر بسبب قربه من سيده، وهو لا يفعل شيئًا بدون سيده.

هكذا يجب علينا أن نحول أفكارنا إلى سيدنا المسيح ونكشفها له، وهو الذي يعرف القلب، وليكن في داخلنا رجاء وثقة أنه هو "مجدي، وهو أبي، وهو غناي".

ينبغي أن يكون لك في قلبك حرص ومخافة. فحتى إذا لم يكن الإنسان حاصلاً على نعمة الله مغروسة وثابتة فيه بشدة حتى أنها تقوده وتوقظه وتحثه على الأشياء الصالحة ليلاً ونهارًا وبلا انقطاع وتكون مرتبطة بنفسه كما برابطة طبيعية، فعلى الأقل، ينبغي أن يكون له الحرص، والخوف والاجتهاد، وانسحاق القلب، ثابتة فيه باستمرار كأنها حقيقة طبيعية غير متغيرة.

النعمة تنشئ المحبة الإلهية وتغير القلوب :

7- ومثل نحلة تصنع قرصًا من العسل داخل الخلية، هكذا النعمة تنشئ المحبة الإلهية سرًا في القلوب وتغيرها من المرارة إلى الحلاوة ومن الخشونة إلى الرقة واللطف، وكما أن الصائغ والنقاش حينما يحفرون أو ينقشون لوحة، فإنه يغطى أجزاء من الصور التي ينقشها على اللوحة، ولكنه حينما ينهي عمله، فإنه يظهرها لامعة بالنور، هكذا الرب الصائغ والفنان الحقيقي يحفر على قلوبنا وينقشها، ويجددها في صمت وسكون إلى أن يأتي يوم خروجها من الجسد، وحينئذ يظهر جمال النفس بوضوح.

وأولئك الذين يريدون أن يصنعوا أواني، ويصوروا فيها صور حيوانات فإنهم يصنعون تصميمهم أولا على الشمع (قالب)، ثم يصبون المعدن على القالب، وهكذا يكتمل العمل على حسب التصميم الموضوع أصلاً. هكذا الخطية، رغم أنها ليس لها جسد ، ولكن لها صورة وهي تتخذ أشكالا كثيرة، وبنفس الطريقة فإن الإنسان الباطن هو مثل واحد من هذه الحيوانات (التي ترسم) فإن له صورة وله شكل لأن الإنسان الباطن هو على مثال الإنسان الخارجي. وما أعظم هذا الإناء وما أثمنه إذ أنه هو الإناء الوحيد الذي سر الرب به من بين جميع المخلوقات. وأفكار النفس الصالحة هي كحجارة ثمينة ودرر، وأما الأفكار النجسة فهي مملوءة "عظام أموات وكل نجاسة " ورائحة رديئة (مت27:23).

من هم المسيحيون بالحق ؟

8- فالمسيحيون إذن هم من عالم آخر وهم أولاد آدم السماوي، جنس جديد، أولاد الروح القدس وأخوة المسيح المضيئين، مثل أبيهم آدم السماوي المضيء. وهم من تلك المدينة، ومن ذلك النسب، ومن تلك القوة (السماوية)، إنهم ليسوا من هذا العالم ، بل من عالم آخر، والرب نفسه يقول " أنتم لستم من هذا العالم كما أني أنا لست من هذا العالم" (يو16:17).

ولكن كما أن التاجر الذي كان في رحلة طويلة لأجل تنمية تجارته ويكون قد سبق قبل عودته وأرسل لأصدقائه ليهيئوا له منازل وحدائق وملابس بحسب ما يلزمه وحينما يعود إلى بلدته فإنه يحضر معه أموالاً كثيرة ويلاقيه

أصحابه وأقرباؤه بفرح عظيم، كذلك في الأمور الروحانية فالذين يجعلون الغنى السماوي هو موضوع عملهم وانشغالهم فإن أصدقاءهم وأهل بلدتهم، أى أرواح الصديقين القديسين والملائكة يعرفون عملهم واهتمامهم، ويقولون بفرح وإعجاب: "إن اخوتنا الذين على الأرض قد أتوا بغنى عظيم". فهؤلاء عند رحيلهم من العالم يكون الرب معهم ويسببون فرحا عظيما لأولئك الذين هم خاصة الرب في السماء، يستقبلونهم مجهزين لهم بيوتا وبساتين وملابس كلها لامعة وثمينة جدًا.

الحاجة للاعتدال والإفراز :

9ـ إننا نحتاج إلى الاعتدال والتبصر في كل الأمور، حتى لا تتحول الأشياء الصالحة التي تبدو أننا قد امتلكناها، إلى ضرر لنا. فإن الذين هم رحومين بطبيعتهم، إذا لم يحفظوا أنفسهم فقد ينزلقون تدريجيًا إلى الضلال عن طريق نفس شفقتهم ورحمتهم، وأولئك الذين عندهم حكمة يمكن أن تخدعهم حكمتهم. فيجب على الإنسان أن يكون معتدلاً ومتزنًا معًا في جميع الاتجاهات: بأن يجمع الشفقة مع الشدة، والحكمة مع حرية التصرف، والقول مع العمل، وفي كل شيء يضع ثقته في الرب لا في نفسه.

لأن الفضيلة تُتبّل بتوابل متنوعة كثيرة، كما أن طعامنا الضروري يتّبل بأنواع من البهارات ـ ليس بالعسل فقط، بل بالفلفل أحيانًا ـ وهكذا يصير صالحًا ومناسبًا للأكل .

10ـ وأولئك الذين يقولون أن الخطية غير موجودة في الإنسان هم مثل أناس مغمورين تحت مياه كثيرة فائضة، ومع ذلك لا يقرون بأن المياه تغمرهم، بل يقولون، "إننا سمعنا صوت المياه سماعًا" ورغم أنهم يكونون مغمورين في عمق أمواج الشر، فمع ذلك يقولون أن الخطية غير موجودة في عقلهم أو أفكارهم.

الفرق بين الفكر النظري وبين الدخول للكنوز السماوية :

يوجد فرق عظيم بين أولئك الذين لهم فكر نظري وقدره على الكلام، ولكنهم غير مُملّحين بالملح السمائي ـ الذين يتحدثون عن المائدة الملكية دون أن يكونوا قد ذاقوا منها شيئا أو تمتعوا بها وبين إنسان يرى الملك نفسه، وقد كشفت له الكنوز السماوية وقد دخل إليها، وصار وارثًا لها، وهو يأكل ويشرب من المأكولات السماوية الثمينة.

الحرص وانسحاق القلب وعناية النعمة :

11 ـ وإن كان لأم ابن وحيد، وسيم جدًا، وعاقل وحكيم، ومزّين بكل الصفات الصالحة، وقد وضعت كل آمالها فيه فإذا مات هذا الابن ودفنته فإنها تصاب بأحزان لا نهاية لها وبكاء ونحيب حتى أنها لا تستطيع أن

تتعزى. هكذا أيضا ينبغي على العقل أن يحزن ويبكى حينما تموت النفس عن الله ويكون له كآبة كثيرة وقلب منسحق، ويكون في خوف وحرص،

وفي نفس الوقت يكون له جوع وعطش باستمرار إلى كل ما هو صالح، فمثل هذا الإنسان تأخذه يدى نعمة الله والرجاء الإلهي لتعتني به النعمة فلا يعود يحزن أيضًا، بل يبتهج ويفرح كمن وجد كنزًا عظيمًا، ولكنه يرتعد خوفًا أيضًا لئلا يفقد الكنز. لأن اللصوص يحضرون كثيرًا للهجوم عليه. ومثل إنسان تعرض لخسائر كثيرة من اللصوص واستطاع أن ينجو منهم بصعوبة شديدة وبعد هذا حصل على غنى وفير وخيرات كثيرة،

فإنه لا يعود يخشى تأثير الخسارة عليه بسبب ثرائه الوفير، هكذا الرجال الروحانيون فإنهم يتعرضون أولا لتجارب وضيقات مخيفة، ولكنهم حين يمتلئون بالنعمة ويفيضون بالصالحات ، فإنهم لا يعودون يخافون من أولئك الذين يريدون أن يسرقوهم ، بسبب أن غناهم صار عظيمًا، ولكنهم يخافون ـ ليس خوف المبتدئ من أرواح الشر، بل لهم خوف وحرص كيف يستثمرون المواهب الروحية التي ائتمنوا عليها.

النعمة تغرس التواضع في النفس :

12ـ والواحد من هؤلاء الروحانيين، يعتبر نفسه أحقر من جميع الخطاة، ويتأصل فيه هذا الفكر حتى يصير كجزء من طبيعته وكلما تقدم في معرفة الله، بقدر ذلك يحسب نفسه جاهلاً تمامًا، وكلما تعلم فإنه يحسب نفسه أنه يعرف أقل. إن النعمة هي التي تقوم بهذا التأثير في النفس وتجعله كجزء من الطبيعة في النفس.

ومثل الطفل الذي يحمله شاب قوى، والذي يحمله يأخذه إلى حيث يشاء، هكذا النعمة التي تعمل في أعماق النفس فإنها تحملها وترفعها إلى السموات، إلى العالم الكامل، والراحة الأبدية.

الراحة وعدم الراحة :

ولكن النعمة فيها درجات ورتب. إذ أن رئيس العسكر الذي يحق له الدخول إلى الملك يختلف عن الضباط. وكما أن البيت الذي يمتلئ بالدخان يفرغ الدخان أيضا إلى الفضاء الخارجي هكذا الخطية المخزونة في النفس تخرج إلى الخارج وتنتج ثمارها. وكما أن أولئك الذين كلفوا بحكم إحدى الولايات أو كلفوا بإدارة الخزانة الملكية هم دائمًا في قلق وحذر لئلا يسيئوا إلى الملك، هكذا أولئك الذين استؤمنوا على العمل الروحاني هم دائمًا في حذر وحرص رغم أنهم يكونون في راحة إلا أنهم لفترة من الوقت يكونون كأنهم لم يحصلوا على الراحة بعد. لأن مملكة الظلمة التي دخلت إلى مدينة النفس والقوات الغريبة التي سيطرت على مراعيها هي في طريقها أن تطرد خارج النفس.

13ـ والمسيح الملك يرسل لينتقم للمدينة ويقيد الظالمين بالسلاسل، وتعسكر الجنود السماوية وجيش الأرواح المقدسة هناك كأنهم في السموات، وحينئذ فإن الشمس تضئ في القلب وتخترق أشعتها وتدخل إلى كل الأعضاء، وهكذا يملك سلام عميق ويصير هو القوة المسيطرة هناك.

استمرار الصراخ إلى الله :

ولكن عزيمة الإنسان في الحرب والجهاد وقيمته الحقيقية وإرادته الصالحة من نحو الله، كل هذه تظهر حينما تتأخر النعمة ولكنه يظل شجاعا ويستمر يصرخ إلى الله. إنك حينما تسمع أن هناك أنهار بها تنانين، وأفواه أسود وقوات مظلمة تحت السماء ونار تحرق الأعضاء فإنك لا تفكر فيها، غير عالم أنك إن لم تنل عربون " الروح القدس" (2كو1:22)، فإن هذه كلها تمسك بنفسك عند خروجها من الجسد ولا تدعوك تصعد إلى السماء.

أتى هو بشخصه ليدعوك إلى فوق :

وبنفس الطريقة، حينما تسمع عن كرامة النفس وكيف أن جوهرها العاقل ثمين جدًا، فإنك لا تفهم أن الله لم يقل عن الملائكة، بل عن الطبيعة البشرية " لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك1:26). وأن السماء والأرض تزولان ولكنك أنت قد دعيت إلى الخلود، والتبني، والأخوة للملك، ولتكون عروسًا له.

في هذا العالم الذي حولنا كل ما هو للعريس يصير للعروس، وهكذا كل ما هو للرب، مهما كان فإنه يودعه إياك. لقد أتى هو بشخصه إلى معونتك، ليدعوك إلى فوق، وأنت لا تقدر ولا تفهم مقدار كرامتك. لذلك فالمرنم الملهم يبكى على سقطتك قائلا: " إنسان في كرامة ولا يفهم، فهو مثل البهائم بلا عقل، وهو يُشبّه بها" (مز49:20). فليكن المجد للآب وللابن، وللروح القدس. إلى الأبد آمين

العظة السابعة عشر

مسحة الروح القدس

"مسحة المسيحيين الروحانية ومجدهم، وأنه بدون المسيح يستحيل الخلاص وتستحيل الشركة في الحياة الأبدية"

مسحة الروح :

1ـ المسيحيون الكاملون الذين حسبوا أهلا للوصول إلي مقاييس الكمال والالتصاق جدا بالملك (المسيح)، هؤلاء يكرسون أنفسهم دائما لصليب المسيح. وكما كانت المسحة في أيام الأنبياء هي أثمن من جميع الأشياء ـ إذ أن المسحة جعلتهم ملوكا وأنبياء، هكذا الأشخاص الروحيون الآن، الذين يمسحهم بالمسحة السماوية فإنهم يصيرون مسحاء بحسب النعمة، فيكونون هم أيضًا ملوكًا وأنبياء للأسرار السماوية.

هؤلاء هم أبناء وأرباب وآلهة، مأسورون ومستعبدون لنعمة الله، ومستغرقون في العمق، مصلوبون ومكرسون. فإن كانت مسحة الزيت، التي استخرجت من نبات مادي ـ من شجرة منظورة لها كل هذه القوة، حتى أن أولئك الذين مسحوا بها، نالوا كرامة فوق كل اعتبار ـ فإنه هكذا كانت القاعدة الثابتة التي بها يعينون ملكًا، فداود مثلا بعد أن مُسح، وقع في الحال في اضطهاد وآلام، ثم بعد سبع سنوات صار ملكًا ـ فكم بالحري جدًا كل الذين يُمسحون في العقل والإنسان الباطن بدهن البهجة (عب1:9) الذي يقدس ويبهج، الدهن السماوي الروحاني ، ينالون علامة ذلك الملكوت الذي لا يفني، والقوة الأبدية، عربون الروح (2كو5:5)، ي الروح القدس المعزي. وهو يسمي المعزي لأنه يعزي أولئك الذين في الشدائد.

الدخول منذ الآن ومعاينة النور :

2 ـ فهؤلاء إذ قد مُسحوا من شجرة الحياة ـ ي يسوع المسيح الغرس السماوي، فإنهم ينالون امتياز المجيء إلي درجات الكمال، درجات الملكوت والتبني، ويكونون مشاركين حقيقيين في أسرار الملك السماوي وخفاياه، إذ يدخلون بحرية إلي القدير، يدخلون في قصره حيث يكون الملائكة وأرواح القديسين، وهم يدخلون منذ الآن بينما هم لا يزالون في هذا العالم. ورغم أنهم لم ينالوا الميراث الكامل المُعَد لهم في ذلك الدهر، فإنهم متيقنون ـ عن طريق العربون الذي قد نالوه الآن ـ كأنهم قد كُلِّلوُا ومَلَكُوا، وإذ هم عتيدون أن يملكوا مع المسيح، فإنهم لا يستغربون وفرة وحرية فيض الروح. لماذا؟. لأنهم حصلوا ـ وهم لا يزالون في الجسد ـ علي لذة حلاوته وعلي عمل قوته الفعالة.

3 ـ فحينما يكون إنسان ما صديقا للإمبراطور، ويعمل في قصره ويتعرّف علي أسراره وخفاياه، وينظر أرجوانه، فإذا صار ذلك الإنسان هو نفسه إمبراطورًا فيما بعد ، وتوج فإنه لا يندهش أو يُصدم (بما في القصر) حيث أنه سبق أن تَدّرب طويلاً في أسرار القصر وخفاياه. فلا يستطيع شخص ساذج أو جاهل أو غريب عن خفايا القصر أن يدخل القصر ويملك، بل يستطيع ذلك فقط أولئك الذين لهم خبرة وتدرب،

وكذلك المسيحيون الذين سيملكون في الدهر الآتي، فإنهم لا يستغربون، إذ أنهم سبق أن تعرّفوا علي أسرار النعمة وخفاياها. فحينما تعدي الإنسان الوصية ألقي الشيطان علي النفس حجابًا مظلمًا. ثم تأتي النعمة فتزيل الحجاب تمامًا، حتي أن النفس إذ تصير نقية، وتستعيد طبيعتها الأصلية، وتصير صافية بلا عيب، فإنها تنظر دائمًا بصفاءـ بعينها النقية ـ مجد النور الحقيقي، وشمس البر الحقيقية ساطعة بأشعتها داخل القلب نفسه.

4. وكما أنه في نهاية العالم تزول السماء (الجلد) ويعيش الأبرار حينئذ في الملكوت والنور والمجد ولا يعاينونشيئا آخر سوي المسيح وهو جالس في المجد دائمًا عن يمين الآب، هؤلاء الناس يختطفون منذ الآن إلي ذلك الدهر الآتي ويؤسرون، وهناك يعاينون كل أنواع الجمال والبهاء والعجائب.

فنحن رغم أننا علي الأرض فإن " مدينتنا هي في السموات" (في 20:3) إذ فيما يخص العقل والإنسان الباطن، نصرف وقتنا ونقوم بأنشطتنا في ذلك العالم. وكماأن العين الظاهرة ـ عندما تكون صافية ـ تري الشمس دائمًا بوضوح، هكذا العقل المُطَهر تمامًا فإنه دائمًا ينظر مجد نور المسيح ويكون مع الرب ليلاً ونهارًا، كما أن جسد الرب المتحد باللاهوت هو دائمًا مع الروح القدس.

قوة عمل النعمة وتأثير الخطية:

ولكن الناس لا يصلون إلي هذه المقاييس في لحظة، بل بالتعب والآلام والجهاد الكثير. لأن البعض منهم تعمل النعمة معهم وتسكن فيهم، ومع ذلك فالشر أيضا يعمل فيهم في الداخل فكل من النور والظلمة له عمل وتأثير علي القلب الواحد بعينه.

5 ـ ولكنك ستسألني قائلاً: " ي شركة للنور مع الظلمة" (2كو 14:6) وكيف يتأثر النور الإلهي أو يَظلَمّ ؟ وكيف يمكن أن يتلوث ما هو طاهر ونقي؟ كما هو مكتوب " النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه" (يو1:5) ولكننا لا يجب أن نفكر في هذه الأمور من وجه واحد وبدون تدقيق. فالبعض من الناس يستقرون في نعمة الله ويعتمدون عليها لدرجة عظيمة، حتى أنهم يصيرون أقوي من الخطية التي فيهم وينعمون بنعمة الصلاة وراحة كثيرة في الله، ولكنهم في لحظة أخري يكونون تحت تأثير الأفكار الشريرة وينخدعون بالخطية بالرغم من كونهم لا يزالون في نعمة الله.

ولكن الناس ذوي العقول الخفيفة ـ الذين لم يدركوا حقيقة الأمر ـ حينما تعمل فيهم النعمة، إلي حد ما، فإنهم يتخيلون أنه لم يبقَ هناك شيء اسمه الخطية. أما الذين لهم تمييز وفطنة فلا يجرؤون أن ينكروا أننا حتى مع حصولنا علي نعمة الله فإننا معرضون لتأثير الأفكار الشريرة والمنجسة.

6. لقد وجدنا أمثلة كثيرة بين الأخوة الذين حصلوا علي فرح عظيم ونعمة هذا مقدارها حتى أنهم لمدة خمس أو ست سنوات متتابعة جفت فيهم الشهوة ولكنهم بعد ذلك حينما ظنوا أنهم صاروا أحرارًا تمامًا منها، فإن الشر الذي كان مختفيا تحرك عليهم ثانية واشتعلت فيهم الشهوة، حتى أنهم تعجبوا وقالوا " من أين جاء علينا وقام ضدنا هذا الشر بعد كل هذا الوقت الطويل؟".

فلا يجرؤ إنسان ذو عقل سليم أن يقول "حيث أن النعمة حاضرة في فأنا حر من الخطية علي الإطلاق" والحقيقة إن كلاً من النعمة والخطية يكون لها ـ في ذلك الوقت ـ عمل وتأثير علي القلب.

والذين ليس لهم خبرة في هذه الأمور، حينما تعمل فيهم النعمة بعض العمل، يتصورون أنهم قد وصلوا إلي الظفر الكامل وصاروا مسيحيين كاملين.

ولكن من جهتي أنا أقول أن حقيقة الأمر هي هكذا: حينما تكون الشمس في السماء مشرقة في جو صاف ثم تأتي السحب وتحيط بها وتغطيها، وتجعل الجو معتما، فإن الشمس مع ذلك تكون بعيدة جدا ولا يضيع شيء من نورها ولا من جوهر طبيعتها، هكذا هو الأمر مع أولئك الذين لم يتطهروا ويتنقوا تنقية كاملة.

أنهم يكونون في نعمة الله، ولكنهم ممسكين تحت السطح بالخطية ولذلك فإن حركاتهم الطبيعية، وأفكارهم الحقيقة، متجهة بقوة إلي الله وبالرغم من ذلك فإنها ليست مرتبطة ارتباطًا كليًا بالصلاح.

7- ومن الجهة الأخرى فهناك البعض الآخر هم مُمْسكين في العمق بقوة الخير والصلاح - قوة النعمة ومع ذلك لا يزالون في عبودية وخضوع للأفكار الشريرة وجانب الشر. لذلك فالأمر يحتاج إلي إفراز كثير لكي يعرف الإنسان بالاختبار أن حقيقة الأمر هي هكذا.

وأني أذكر لكم أنه حتي الرسل رغم نوالهم المعزي في داخلهم لم يكونوا خالين تماما من الخوف فإلي جانب امتلائهم من الفرح والبهجة كان فيهم أيضا خوف ورعدة ناشئة من النعمة نفسها وليست ناشئة من جانب الشر، وكانت النعمة نفسها تحفظهم. وتحرسهم لكي لا ينحرفوا ي انحراف.

فإذا رمي إنسان حجرا صغيرا علي حائط فإنه لا يضر الحائط ولا يحركه من مكانه وإذا أطلق سهم علي رجل يلبس درعا فإنه لا يضر درع الحديد ولا جسم لابس الدرع لأنه ينعكس ويرتد إلي خلف. هكذا حتي إذا اقترب من الرسل جزء صغير من الشر، فإنه لم يكن ليجرحهم أو يضرهم لأنهم كانوا بقوة المسيح الكاملة وإذ كانوا كاملين ، كانت لهم الحرية الكاملة لعمل البر بكل أنواعه.

8 - إن البعض يقولون أن النفس بعد نوالها النعمة تصير بلاخوف ولكن الله يطلب إرادة النفس - حتي في الكاملين - لتصير في خدمة الروح، لكي يعملا كلاهما في توافق واتفاق.

فالرسول يقول " لا تطفئوا الروح" (1تس19:5) فالبعض منهم كانوا غير راغبين أن يثقلوا علي غيرهم، والبعض كانوا يسيرون علي حِدَتهم، والبعض الآخر كانوا يأخذون من العائشين في العالم ويوزعون علي الفقراء. وهذا كان أفضل.

لأن البعض تكون فيهم النعمة فيهتمون بنفوسهم فقط، بينما يسعي آخرون لمنفعة نفوس اخوتهم أيضًا وهؤلاء أفضل من الآخرين. والبعض من الذين لهم النعمة يسلمون أجسادهم للتعييرات والآلام من أجل اسم الله وهؤلاء أيضًا أفضل من أولئك. والبعض في سعيهم إلي الفضيلة يميلون إلي التشامخ وإلي نوال الكرامة والمديح من الناس، ويقولون إنهم مسيحيون وشركاء للروح القدس. وآخرون يجتهدون في إخفاء أنفسهم حتي من مقابلة الناس وهؤلاء أفضل من أولئك الآخرين. وهكذا ترون أنه حتي في الكمال تكون الإرادة الصالحة نحو الله المتوافقة بتكامل مع الإرادة الطبيعية هي التي تعلو وتتفاضل كثيرًا جدًا.

الحديث الروحي بدون تذوق واختيار :

9 ـ فإذا كان إنسان فقير، يري نفسه غنيًا في حلم الليل، وحينما يستيقظ من النوم يجد نفسه فقيرًا عريانًا مرة أخري. كذلك الذين يتحدثون الحديث الروحاني ويظهرون كأنهم يتحدثون بكفاءة تامة، ولكنهم إن لم يكونوا حاصلين علي الشيء الذي يتحدثون عنه، متحققا في قلوبهم بالتذوق والقوة والاختبار الشخصي فإنه لا يكون لهم سوي مظهر باطل وخيال وهمي.

أو مثل امرأة مزينة بالحرير ومتحلية بالجواهر وتعرض نفسها في مكان الفساد والعار، هكذا يكون قلب هؤلاء الناس مأوي للأرواح النجسة فإنهم يسرعون إلي التكلم والحديث عن البر بينما هم لم يتمتعوا حتي بنظرة لهذه الحقائق.

10 ـ السمكة لا تستطيع أن تعيش خارج الماء، ولا يستطيع أحد أن يمشي بدون قدمين، أو يري النور بدون عينين أو يتكلم بدون لسان أو يسمع بدون أذنين. هكذا بدون الرب يسوع وعمل قوته الإلهية، لا يستطيع أحد أن يعرف أسرار الله وحكمته، أو أن يحصل علي الغني الحقيقي ويصير مسيحيًا. فإن الحكماء، المحاربين، الشجعان، وفلاسفة الله هم أولئك الذين ينقادون ويتغذون وينضبطون في الإنسان الباطن بالقوة الإلهية.

إن فلاسفة اليونانيين يتعلمون صناعة الكلام بينما الآخرون هم "عاميون في الكلام" (2كو6:11)، ويبتهجون ويفرحون متهللين بنعمة الله لأنهم رجال تقوي فلنحكم أيهما أفضل. فالرسول يقول " ملكوت الله ليس بكلام بل بالفعل والقوة" (1كو20:4).

11ـ فإنه من السهل جدًا علي ي إنسان أن يقول: "هذا الخبز مصنوع من القمح". ولكن كان ينبغي أن يخبرنا عن كيفية إعداده وعجنه بالتفصيل. هكذا فإن التحدث عن التحرر من الأهواء وعن الكمال هو أمر سهل ولكن خبرة الوصول إلي الكمال ليست أمرًا هينا.

فالإنجيل مثلا يقول في اختصار " لا تغضب ، لا تشتهي" وأيضًا "من لطمك علي خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضًا" (مت39:5، 40).

ولكن الرسول إذ يتتبع كيفية تتميم عمل التطهير فإنه بصبر ومثابرة قليلاً قليلاً يعلمنا بالتفصيل مغذيًا إيانا باللبن كالأطفال ثم يأتي بنا إلي النمو وإلي النضج الكامل. فالإنجيل قال: إن الثوب مصنوع من صوف الحملان (مت15:7)، ولكن الرسول أعلن بالتفصيل كيفية صنعه.

12ـ هكذا أولئك الذين يتحدثون بالأحاديث الروحية، بدون أن يتذوقوا ما يتحدثون عنه فإنهم يشبهون إنسانًا مسافرًا في صحراء مقفرة تحت أشعة الشمس المحرقة، وبسبب عطشه فإنه يتخيل صورة ينبوع ماء جار ويري نفسه وهو يشرب منه، بينما تكون شفتاه ولسانه كلها جافة مشتعلة من شدة العطش الذي يتملكه، أو كمثل إنسان يتحدث عن العسل ويقول أنه حلو، مع أنه لم يذقه قط، ولذلك فإنه لا يعرف قوة حلاوته.

هكذا هي حالة أولئك الذين يتحدثون عن الكمال والفرح، والتحرر من الأهواء دون أن يكون فيهم العمل الفعّال أو المعرفة الشخصية لهذه الأمور، وليست الأشياء كلها كما يصفونها هم. وإذا حسب إنسان من هذا النوع، أهلا

لأن يكتشف الحقيقة، فإنه يقول في نفسه إني لم أجد الحقيقة كما كنت أظن، فإني كنت أتحدث في اتجاه، والروح يعمل في اتجاه آخر.

13 ـ لأن المسيحية هي في الحقيقة طعام وشراب، فكلما أكل الإنسان منها ازداد قلبه ولعا بحلاوتها، ولا يتوقف أو يكتفي بل يطلب المزيد، ويستمر يأكل بلا شبع أو امتلاء. فإذا أعطي شراب حلو لإنسان عطشان، فإنه بعد أن يتذوقه، يزداد ظمئًا إليه، ويشتاق إليه بحرارة أكثر من الأول. والحقيقة أن مذاقة الروح تشبه ذلك، ولكن بغير حدود، حتي أنه لا يوجد شيء يمكن أن يمثل به، وهذه ليست مجرد كلمات. فهذا هو فعل الروح القدس وعمله الذي يعمله في الخفاء في القلب.

القداسة هي نقاوة القلب :

إن البعض يتصورون أنهم صاروا قديسين بسبب امتناعهم عن الزواج وعن بعض أمور أخري منظورة، ولكن الأمر ليس كذلك. فإن الخطية لا تزال تعيش وترفع رأسها في العقل وفي القلب. فإن القديس هو ذلك الذي يتنقي ويتقدس في الإنسان الباطن. وحيثما يرفع الحق رأسه، فهناك يبدأ الشر هجومه محاولا أن يخفي الحق ويحجبه.

14 ـ وحينما كان اليهود يمتلكون الكهنوت، فإن بعضًا من تلك الأمة كانوا يُضطهدون ويتألمون بسبب ثباتهم في الحق، مثل أليعازر والمكابيين. والآن بعد الصليب وانشقاق الحجاب، فارق الروح اليهود، وأما الآن فإن الحق كُشف هنا وهو يعمل هنا (في المؤمنين بالمسيح)، وهكذا فإن البعض من هذه الأمة (المسحيين) يُضطهدون بدورهم.

إن الاضطهاد والشدائد تقع علي المؤمنين، لكي يستطيع محبي الحق أن يشهدوا له لأنه كيف يظهر الحق إن لم يكن له أعداء، الذين هم الكذبة والمقاومون للحق...؟

وحتي بين الأخوة، يوجد البعض ممن يحتملون آلام وشدائد كثيرة، ومع ذلك يحتاجون إلي احتراس كثير لكي لا يسقطوا.

كان أحد الأخوة مرة في صلاة مع آخر، وأُسرَ من القوة الإلهية واختطف وري أورشليم العليا ومناظرها المضيئة، والنور اللانهائي، وسمع صوتًا يقول هذا هو مكان راحة الأبرار، وبعد وقت قصير، انتفخ في نفسه وظن أن الرؤيا التي رآها هي مختصة به وتنسب إليه، وبعد ذلك سقط إلي أعماق الخطية، وآلاف أمور شريرة.

15ـ فإن كان الذي دخل إلي الداخل والمتقدم كثيرًا سقط هكذا، فكيف يستطيع الشخص العادي أن يقول " أني بصومي وتغربي، وتوزيع كل أموالي قد صرت قديسًا؟" .

إن مجرد الامتناع عن الشرور ليس هو الكمال، بل إن دخلت إلي قلبك الحرب وذبحت الحية القتّالة التي تكمن تحت العقل، تحت سطح الأفكار، وتختبئ داخل ما نسميه مخادع النفس ومخازنها الخفية. إن القلب هوة عميقة، فقط إن كنت تقتل هذه الحية وتخرج خارجا كل ما كان فيك من النجاسة فحينئذ تتحول إلي النقاوة.

فإن كل الفلاسفة والناموس والأنبياء بل مجيء المخلّص، كل ذلك كان من أجل الطهارة. فكل الناس يهودًا كانوا أم أممًا يحبون الطهارة، رغم أنهم لا يستطيعون أن يكونوا أطهارًا. فينبغي أن نستمر في البحث عن الكيفية والوسائل التي نحصل بها علي نقاوة القلب.

طريق النقاوة :

وبالتأكيد لا يوجد طريق آخر سوي بواسطة ذلك الذي صلب لأجلنا. فهو الطريق والحياة والحق، والباب والجوهرة، والخبز الحي السماوي. وبدون هذا الحق تستحيل معرفة الحق، ي يستحيل الخلاص.

فكما أنه من جهة الأمور المنظورة، قد تخليت عن كل شيء ووزعت أموالك، هكذا أيضا من جهة الحكمة العالمية، فإن كان لك علم وفصاحة كلام، فإنك ينبغي أن ترذلها وتعتبرها كلا شئ، حتى تستطيع أن تتهذب وتبني " بجهالة الكرازة" (1كو1:21)، هذه الكرازة التي هي الحكمة الحقيقية التي لا تعتمد علي عظمة وغرور الكلام، بل لها قوة تعمل بفاعلية بواسطة الصليب المقدس. فالمجد للثالوث الواحد في الجوهر إلي الأبد. آمين

العظة الثامنة عشر

غنى وكنز الروح القدس

"عن كنز المسيحيين، الذي هو المسيح والروح القدس الذي يدربهم بطرق متنوعة ، ليأتي بهم إلى الكمال"

كنز الروح :

1ـ إذا كان إنسان غنى في هذا العالم وعنده كنز مخفي فإنه من ذلك الكنز والغنى الذي له يمكنه أن يشترى أى شيء يشتهيه. وكل الأشياء النادرة التي يشتهيها ـ في هذا العالم، فإنه بسهولة يجمعها ويكدسها، معتمدا على كنزه لأنه بواسطة هذا الكنز، يسهل عليه اقتناء كل الممتلكات التي يشتهى امتلاكها. وبنفس الطريقة فإن أولئك الذين يطلبون ويسعون إلى الله، وقد وجدوا الكنز السماوي أى حصلوا على كنز الروح،

الذي هو الرب نفسه، مضيئا في قلوبهم، فإنهم يتممون كل بر الفضائل وكل غنى الصلاح الذي أوصى به الرب، وذلك من كنز المسيح الذي فيهم، وبواسطة ذلك الكنز يتممون كل فضائل البر معتمدين على مجموع الغنى الروحي الكثير المتجمع في داخلهم، ويعملون بسهولة كل وصايا الرب بواسطة غنى النعمة غير المنظور الذي فيهم. يقول الرسول " لنا هذا الكنز في أوان خزفية" (2كو4:7). أى الكنز الذي أعطى لهم في هذه الحياة ليمتلكوه في داخل نفوسهم، " الذي صار لنا حكمة من الله وبرًا وقداسة وفداء" (1كو1:30).

2 ـ فالذي وجد وامتلك في داخله كنز الروح السماوي هذا فإنه يتمم به كل بر الوصية ويكمل جميع الفضائل بنقاوة وبلا لوم، بل بسهولة وبدون تغصب.

لذلك فلنتضرع إلى الله، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكيما نستطيع أن نسلك في وصاياه كلها بطهارة وبلا لوم، ونتمم كل بر الروح بنقاوة وكمال بواسطة الكنز السماوي، الذي هو المسيح.

فالذي يكون فقيرًا وعريانًا ومحتاجًا ومعدمًا في هذا العالم، لا يستطيع أن يقتنى شيئا، لأن فقره يمنعه من ذلك، ولكن الذي يملك الكنز ـ كما سبق أن قلت ـ فإنه بسهولة يقتنى كل ما تصبو نفسه إليه، بدون جهد أو ألم. هكذا النفس العريانة والمقفرة من شركة الروح، الواقعة تحت فقر الخطية المرعب لا تستطيع ـ حتى إذا رغبت ـ أن تثمر أى ثمر من ثمار روح البر بالحق، قبل أن تدخل في شركة الروح.

3ـ فليغصب كل واحد منا نفسه ليطلب من الرب أن يحسب أهلاً أن ينال وأن يجد كنز الروح السماوي. لكيما يستطيع بتهيؤ وبدون صعوبة، أن يعمل كل وصايا الرب بنقاوة وبلا لوم ـتلك الوصايا التي لم ينجح قبل ذلك في أن يعملها مهما غصب نفسه.

لأنه إذ يكون فقيرًا وعريانًا من شركة الروح، فكيف يمكنه أن يقتنى الكنوز السماوية بدون أن يحصل على كنز وغنى الروح؟. أما النفس التي وجدت الرب الذي هو الكنز الحقيقي فإنها بواسطة طلب الروح، وبالايمان والثقة، وبصبر كثير، تثمر ثمار الروح بسهولة وراحة، كما قلت سابقًا، وتعمل كل وصايا الرب، التي أوصى بها الروح، هذه كلها تعملها في داخلها، وبنفسها، بنقاوة وكمال وبلا لوم.

غنى الروح ومنفعة الآخرين :

4ـ ولنستخدم توضيحًا آخر: إنسان غنى يريد أن يصنع وليمة فاخرة فإنه يصرف من ثروته والكنز الذي يملكه، ولأنه غنى جدا فإنه لا يخاف من عدم كفاية أمواله لتجهيز كل لوازم الوليمة. وهكذا فإنه يكرم الضيوف الذي

دعاهم. ببذخ وأبهة، واضعًا أمامهم أصنافًا كثيرة من المأكولات معدّة بأحدث طرق التجهيز. وأما الفقير الذي ليس عنده مثل هذا الغنى فإنه إذا رغب في عمل وليمة لأصدقاء قليلين فإنه يضطر أن يستعير كل شيء،

من الأوانى والأطباق والمفارش وكل شيء آخر، وبعد ذلك حينما تنتهى الوليمة ويخرج المدعوون فإنه يعيد كل الأشياء التي استعارها إلى أصحابها سواء أطباق فضة أو مفارش أو أى أشياء أخرى، وهكذا حينما يُرجع كل شئ يظل هو نفسه فقيرًا وعريانًا إذ ليس له غنى خاص يعزى به نفسه.

5- وبنفس الطريقة فإن أولئك الذين يكونون أغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوي حقا وشركة الروح في داخل نفوسهم، فإنهم حينما يكلمون أحدا بكلمة الحق أو حينما يتحدثون بالأحاديث الروحية ويريدون أن يعزوا النفوس فإنهم يتكلمون ويخرجون من غناهم ومن كنزهم الخاص الذي يمتلكونه في داخل نفوسهم، ومن هذا الكنز يعزّون ويفرّحون نفوس الذين يسمعون أحاديثهم، ولا يخافون أن ينضب معينهم، لأنهم يملكون في داخلهم كنز الصلاح السماوي الذي يأخذون منه ليعزوا ويفرحوا ضيوفهم الروحيين.

أما الفقير الذي لا يملك غنى المسيح وليس عنده الغنى الروحى في داخل نفسه الذي هو ينبوع كل صلاح سواء في الأقوال أو الأعمال أو الأفكار الإلهية والأسرار التي لا ينطق بها. فحتى إذا أراد هذا الفقير أن يتكلم بكلمة الحق ويعزى بعض سامعيه بدون أن ينال في نفسه كلمة الله بالقوة والحق،

فإنه يكرّر من الذاكرة ويقتبس فقط كلمات من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الرجال الروحيين فيخبر ويعلم بها الآخرين ـ وهكذا يظهر كأنه يعزى ويفرح الآخرين، والآخرون يبتهجون بما يخبرهم ولكن بعد أن ينتهى من الكلام تعود كل كلمة إلى مصدرها الأصلى الذي أخذت منه ويبقى هذا الإنسان ويعود كما كان عريانًا وفقيرًا لأنه ليس له كنز الروح خاصًا به ليأخذ منه ويعزى ويفرح الآخرين إذ أنه هو نفسه لم يتعز أولاً ولا ابتهج بالروح.

6- لهذا السبب ينبغى لنا أولا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أى كنز المسيح الحقيقي بقوة الروح القدس وفاعليته. ولهذا فعندما نجد الرب أولا في نفوسنا لمنفعتنا أى للخلاص والحياة الأبدية، فحينئذ يمكننا أن ننفع الآخرين أيضا إذ يصير هذا ممكنًا، لأننا نأخذ من المسيح الذي هو الكنز الموجود في داخلنا ونخرج منه كل الصلاح الذي للكلمات الروحية ونكشف أمامهم أسرار السماء.

لأن هذه هي مسرة صلاح الآب أن يسكن في كل من يؤمن به ويحبه " من يحبنى يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتى" ويقول أيضا " إليه نأتى، أنا والآب، ونصنع عنده منزلاً" (يو14:21، 23).

هذا ما شاءه إحسان الآب غير المتناهى، وهذا ما سرّت به محبة المسيح الفائقة المعرفة، وهذا ما وعد به صلاح الروح الذي لا ينطق به. فالمجد للحنان غير المنطوق به الذي للثالوث الأقدس

أنواع فاعلية النعمة في القلب:

7ـ لأن أولئك الذين أعطى لهم أن يصيروا أبناء الله، وأن يولدوا من فوق من الروح، والذين لهم المسيح منيرًا في داخلهم، ومنعشًا لهم، هؤلاء يقودهم الروح بطرق متنوعة كثيرة. وتعمل النعمة سرًا في قلوبهم وتعطيهم راحة روحية .

فلنستعمل صور التنعمات والمسرات الملموسة التي في هذا العالم لنوضح بها ـ إلى حد ما ـ أعمال النعمة في القلب. ففي بعض الأوقات تعزيهم النعمة وتفرحهم كما في وليمة ملوكية فيفرحون بفرح وسرور لا ينطق به وفي وقت آخر يكونون مثل عروس تتنعم بالشركة مع عريسها في راحة إلهية. وفي وقت آخر يصيرون كملائكة بدون أجساد، لكثرة سموهم وخفتهم وعدم تثقلهم حتى بالجسد. وفي وقت آخر يكونون كأنهم سكارى إذ يكونون منتعشين وثملين بالروح وبالأسرار الإلهية الروحانية.

8ـ وفي وقت آخر يكونون كأنهم في بكاء ونحيب لأجل جنس البشر وإذ يتوسلون لأجل ذرية آدم كلها فإنهم يولولون ويبكون، إذ تشتعل فيهم محبة الروح نحو جنس البشر. وفي وقت آخر يشعلهم الروح بفرح ومحبة كثيرة حتى أنه لو أمكنهم لأدخلوا كل إنسان إلى أحشائهم، بدون تفريق بين الردىء والجيد.

وأحيانا يصيرون تحت كل الناس في تواضع الروح حتى أنهم يحسبون أنفسهم آخر الكل وأقل الكل.

وأحيانًا يجعلهم الروح في فرح لا يُنطق به. لدرجة أنهم يُجهدون من الفرح. وفي وقت آخر يكونون مثل إنسان جبار قد لبس الدرع الملكى الكامل ونزل إلى المعركة ضد أعدائه، فيحاربهم بقوة ويهزمهم، فإنه مثل هذا الجبار كذلك يأخذ الإنسان الروحانى أسلحة الروح السماوية وينزل لمقاتلة الأعداء فيحاربهم، ويدوسهم تحت قدميه.

9ـ وفي وقت آخر تستريح النفس في هدوء عظيم وسكون وسلام، دون أن تشعر بأى شئ آخر سوى اللذة الروحانية والراحة والسعادة التي لا توصف.

وفي وقت آخر، تعلمها النعمة بنوع لا ينطق به من الفهم والحكمة، ومعرفة الروح الذي يفوق الفحص وتعلمها أشياء لا يمكن النطق بها باللسان والكلام، هكذا فإن معاملات النعمة متنوعة جدًا في النفوس، وهى تقود النفس التي تنعشها وتحييها، بطرق كثيرة بحسب إرادة الله وتدربها بطرائق مختلفة لكى تعيدها إلى الآب السماوي كاملة ونقية وبلا عيب.

10ـ ولكن أفعال الروح هذه التي تحدثت عنها تختص بالدرجات العظيمة القريبة من الكمال، لأن تنعمات النعمة المختلفة هذه، رغم أنه يُعبّر عنها بطرق مختلفة ولكنها تفعل بلا انقطاع في أولئك الأشخاص، فاعلية تليها فاعلية أخرى.

لأنه حينما تصل النفس إلى كمال الروح ، وتتطهر بالتمام من الشهوة، وتتحد مع الروح المعزى وتختلط به بشركة لا توصف، فإنها تحسب أهلا أن تصير هي نفسها روحًا، في اختلاطها مع الروح، حينئذ تصير كلها نورًا، وكلها عينًا، وكلها روحًا، وكلها فرحًا، وكلها راحة، وكلها بهجة، وكلها محبة، وكلها حنان، وكلها صلاح، وكلها رأفات محبة.

وكما أن الحجر الذي في قاع البحر تحيط به المياه من كل ناحية، كذلك كل هؤلاء أيضًا إذ يكونون مغمورين بالروح من كل ناحية فإنهم يصيرون مشابهين للمسيح، حاصلين في أنفسهم على فضائل قوة الروح بلا تغيير لكونهم بلا عيب وأنقياء وبلا لوم من الداخل والخارج.

11- وإذ قد ردهم الروح وأعادهم إلى الله هكذا فكيف يمكنهم أن يخرجوا ثمر الخطية؟ بل في كل الأوقات وفي كل الظروف تشع منهم ثمار الروح ظاهرة فيهم.

لنطلب نعمة الروح بالإيمان والمحبة والرجاء :

فلنتوسل إذًا إلى الله بإيمان وبالمحبة والرجاء الكثير، لكى يمنحنا النعمة السماوية، نعمة الروح، لكى ما يحكمنا ويضبطنا ذلك الروح نفسه أيضًا، ويقودنا إلى كل إرادة الله وينعشنا ويحيينا بكل أنواع إنعاشه وإحيائه لكى بواسطة عمل الروح هذا وفاعلية النعمة، والنمو الروحاني نتقدم، لنحسب أهلا لإدراك كمال ملء المسيح كما يقول الرسول " لتمتلئوا بكل ملء المسيح" (أف19:3) وأيضا يقول " إلى أن ننتهي جميعنا إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف13:4).

ولقد وعد الرب كل الذين يؤمنون به ويسألونه بالحق أن يعطيهم أسرار شركة الروح الذي لا يُنطق به.

لذلك فلنكرس نفوسنا بكليتها للرب ونسرع للحصول على الخيرات التي تكلمنا عنها. وإذ نكرس نفوسنا وأجسادنا ونتسمر على صليب المسيح فلنكن لائقين ومستعدين للملكوت السماوي، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين

العظة التاسعة عشر

وصايا المسيح والامتلاء من الروح القدس

" المسيحيون الذين يريدون التقدم والنمو ، ينبغي أن يغصبوا أنفسهم إلى كل ما هو صالح ليتحرروا من الخطية الساكنة فيهم وليمتلئوا من الروح القدس"

الإيمان بثبات والمواظبة على الصلاة :

1- إن أراد أحد أن يأتي إلى الرب، وأن يوجد أهلا للحياة الأبدية، وأن يصير مسكنا للمسيح وأن يمتلئ بالروح القدس لكيما يستطيع أن يثمر ثمار الروح، ويتمم وصايا المسيح بنقاوة وبلا عيب، يجب عليه أن يبتدئ أولا

بالإيمان بالرب بثبات، وأن يسلّم نفسه كلية إلى كلمات وصاياه، ويتخلى عن العالم تخليًا تامًا، لكي لا ينشغل عقله بالمرة بشيء عالمي.

ويجب عليه أيضا أن يواظب دائمًا على الصلاة، وينتظر دائمًا بإيمان وتوقع افتقاد الرب وعونه، جاعلاً نظر عقله مثبت دائمًا نحوه. ثم ينبغي أن يغصب نفسه إلى كل عمل صالح وإلى وصايا الرب كلها، وذلك بسبب الخطية الساكنة فيه.

فمثلاً، ليغصب نفسه إلى تواضع القلب مع جميع الناس، ويحسب نفسه أقل منهم وأردأ منهم، فلا يطلب كرامة أو مدحًا أو مجدًا من أى واحد من الناس، كما هو مكتوب في الإنجيل (يو12:44)، بل يضع الرب، ووصاياه، أمام عينه كل حين، راغبًا في أن يرضى الرب وحده بوداعة القلب، كما يقول الرب " تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت11:29)

وصايا المسيح والصلاة بإيمان وثقة :

2ـ وبنفس الطريقة فليعود نفسه على أن يكون رحيمًا، شفوقًا رقيق القلب، صالحًا، بأقصى طاقة عنده. كما يقول الرب " فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم" (لو6:36)، ويقول أيضا " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياى" (يو14:15) وأيضا " ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه" (مت11:12). وأيضا يقول " اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق" (لو13:24).

وفوق كل شيء فليحفظ في ذاكرته ـ بدون نسيان مطلقا ـ تواضع الرب يسوع وسلوكه، ووداعته وسيرته، كمثاله الدائم أمام عينيه. وليواظب على الصلاة بمثابرة متوسلاً إلى الرب بإيمان وثقة لكي يأتى ويسكن فيه ويصير كاملا، ويقويه في حفظ جميع وصاياه، وليصير الرب ذاته هو موضع سكنى نفسه وهكذا فإن الأشياء التي يفعلها الآن بالتغصب وبقلب معارض، يأتى يوم حين يفعلها برضى وإرادة منه، معودًا نفسه دائمًا على ما هو صالح، ومتفكرا دائمًا في الرب، وينتظر الرب بمحبة كثيرة في الروح القدس .

ملء الروح وعمل الوصايا بدون صعوبة :

وحينما يرى الرب تشوّقه، واجتهاده الصالح، وكيف أنه يغصب نفسه لتذكر الرب وكيف يلزم قلبه بما هو صالح حتى لو كان بخلاف رغبته، ويلزمه بالتواضع والوداعة والمحبة بأقصى طاقة عنده، فإن الرب يتحنن عليه وينقذه من أعدائه، ومن الخطية الساكنة فيه، ويملأه بالروح القدس.

وهكذا فبعد ذلك يفعل كل وصايا الرب بالحق بدون تغصب أو صعوبة أو تعب، أو بالحري فإن الرب نفسه هو الذي يفعل وصاياه فيه، وحينئذ يخرج ثمار الروح بنقاوة.

يغصب نفسه إلى ما هو صالح (وصايا المسيح) :

3ـ فالذي يأتي إلى الرب يلزمه أولاً أن يغصب نفسه إلى ما هو صالح حتى لو كان ضد ميل قلبه، منتظرًا دائمًا رحمة الرب بإيمان لا يتزعزع.

ويغصب نفسه إلى المحبة حينما تنقصه المحبة، ويغصب نفسه إلى الوداعة حينما لا تكون عنده وداعة، ويغصب نفسه إلى الشفقة إلى أن يكون له قلب حنون ـ وأن يغصب نفسه على تحمل الازدراء وأن يحتمله بصبر، وحينما يُحتقر أو يُعير، فلا يغضب، كما هو مكتوب " ولا تنتقموا لأنفسكم ايها الأحباء" (رو19:12) ـ وليغصب نفسه إلى الصلاة حينما لا تكون له الصلاة الروحانية، وهكذا إذ يراه الله مجاهدًا وغاصبًا بالرغم من معارضة قلبه، فإنه يهب له صلاة الروح الحقيقية وينعم عليه بالمحبة الحقيقية، والوداعة وأحشاء الرأفات والشفقة الحقيقية، وباختصار فإنه يملأه بثمار الروح.

4ـ ولكن إن كان إنسان يغصب نفسه إلى الصلاة فقط لكي ما يحصل على نعمة الصلاة، ولكنه لا يغصب نفسه إلى الوداعة والتواضع والمحبة وبقية وصايا الرب ولا يهتم أو يتعب ويجتهد لكي يتمم هذه الوصايا ـ بقدر ما هو مستطاع لحرية الإرادة وعزم القلب ـ فقد تعطى له أحيانا نعمة الصلاة جزئيًا، مع تعزية وفرح من الروح بحسب ما سأل وطلب ولكنه يظل كما هو في صفاته وسلوكه. فيكون بلا وداعة، لأنه لم يطلبها باهتمام، ولم يعد نفسه ليقبلها فيصير وديعًا ويكون بلا تواضع لأنه لم يطلب التواضع، ولم يغصب نفسه إليه.

ويكون بلا محبة من نحو الناس لأنه لم يهتم ويجتهد لكي يحصل عليها بالتوسل والصلاة وليس له إيمان وثقة في الله في تكميل ما عليه من الأعمال، لأنه لم يعرف نفسه، ولم يكتشف أن هذا هو ما يعوزه، ولم يبذل أى اهتمام أو جهد ليحصل على احتياجه، طالبًا من الرب أن يحصل على إيمان ثابت وثقة حقيقية فيه.

5 ـ فإنه كما أن كل واحد يلزم ويغصب نفسه إلى الصلاة بالرغم من نفور القلب، هكذا ينبغي لمن يغصب نفسه أيضًا إلى الثقة بالله، وإلى التواضع، وإلى المحبة، وإلى الوداعة، وإلى الإخلاص والبساطة، وإلى "كل صبر وطول أناة بفرح" (كو11:1)، وأن يعتبر نفسه كلا شيء ويحسب نفسه أقل وآخر الكل، وهكذا يتجنب الدخول في المحادثات التي لا تنفع، بل يتأمل دائمًا في أمور الله ويتكلم بها، بفمه وقلبه،

وأيضا لا يكون غضوبا أو ذا صخب وصراخ كما هو مكتوب " ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث" (أف31:4)، ويسير في طرق الرب كلها، في عمل الفضيلة وفي حياة صالحة نبيلة، في كل سيرة الصلاح وكل تواضع الوداعة، فلا يتشامخ ولا يتكبر ولا يتكلم في حق أى إنسان.

6ـ فينبغي أن يغصب الإنسان نفسه إلى كل الأشياء إن كان يريد أن يرضى المسيح ويسر قلبه، حتى أن الرب عندما يرى غيرته وعزم قلبه في غصب نفسه هكذا إلى كل الصلاح والبساطة والرحمة والتواضع والمحبة والصلاة وكيف أنه يسوق نفسه إليها جميعا بالقوة، فإن الرب يعطيه ذاته ـ أى أن الرب نفسه بالحق يعمل فيه كل هذه الأشياء بنقاوة وبدون تعب أو تغصب،

هذه الأشياء التي لم يكن يستطيع قبلا أن يعملها حتى بالتغصب وذلك بسبب الخطية التي كانت ساكنة فيه، وتصير كل أعمال الفضيلة هذه طبيعة فيه. لأن الرب حينما يأتي ويسكن فيه وهو يسكن في الرب. فإن الرب نفسه يتمم فيه وصاياه بدون تعب مالئًا إياه بثمار الروح.

وأما أن غصب إنسان نفسه إلى الصلاة فقط لكي ينال موهبتها من الله ولكنه لا يغصب نفسه بنفس الطريقة ويلزم ويعود نفسه على كل هذه الأمور الأخرى، فإنه لا يستطيع أن يتمم هذه الأشياء بالحق، وبنقاوة وبلا عيب.

فينبغي أن يعد نفسه بهذه الطريقة إلى ما هو صالح بأقصى طاقته، فإن النعمة الإلهية تأتيه أحيانا وقت السؤال والصلاة والتضرعات. لأن الله صالح ورحيم والذين يسألون يعطيهم ما يسألون، وأما من كان خاليا من الأشياء التي قد تكلمنا عنها ولم يعود أو يكيف نفسه عليها مقدمًا، فإنه حتى إذا نال النعمة، فسيفقدها ويسقط بكبرياء أو على الأقل فهو لا يتقدم وينمو ويزداد في النعمة التي وهبت له، لأنه لم يسلم نفسه إلى وصايا الرب بإرادته. لأن مكان سكنى الروح القدس وراحته هو التواضع والمحبة والوداعة وكل وصايا الرب الأخرى.

طاعة الوصية والمداومة على الصلاة :

7 ـ لذلك فكل من يريد أن يرضى الله بالحق وأن ينال منه نعمة الروح القدس السماوية، وأن ينمو ويكمل في الروح القدس ينبغي له أن يغصب نفسه إلى كل وصايا الله ويخضع لها قلبه مهما كان رافضًا، كما هو مكتوب " لأجل هذا بازاء كل وصاياك تقومت وكل طريق شر أبغضت" (مز128:119)، فكما يغصب الإنسان نفسه ويلزمها بالمثابرة في الصلاة إلى أن ينجح في ذلك هكذا بنفس الطريقة، إن أراد فقط، فإنه يستطيع أن يغصب ويلزم نفسه بكل ممارسات الفضيلة ويعود نفسه عادة حسنة، وهكذا إذ يداوم على الصلاة والسؤال من الرب وبحصوله على ما يطلب ونواله مذاقة الله وإذ يصير شريكا في الروح القدس فإنه يجعل الموهبة التي منحت له تنمو وتزدهر، إذ يستريح مستقرًا في تواضعه، وفي المحبة والوداعة.

8 ـ والروح نفسه يمنحه هذه الأشياء، ويعلّمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الحقيقية، والوداعة الحقيقية، التي كان قبلاً يغصب نفسه إليها، وكان يطلبها ويهتم بها ويتأمل فيها، والآن أعطيت له، ولأنه نما هكذا وتكمل في الله، فإنه يحسب أهلاً أن يصير وارثًا للملكوت. فالمتواضع لا يسقط أبدًا. وإلى أين يسقط إذا كان هو تحت الكل؟ أما القلب المتشامخ فهو انحطاط عظيم، والقلب المتواضع هو ارتفاع عظيم وكرامة ومجد.

طلب الروح والصلاة بالروح وثمار الروح :

لذلك فلنغصب نفوسنا ونلزمها بالتواضع حتى ولو كان قلبنا غير راغب في ذلك، ونغصبها إلى الوداعة، وإلى المحبة، مصلين ومتوسلين إلى الله بالإيمان، والرجاء، والمحبة، وبلا انقطاع، وبانتظار وثبات، أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلى " ونسجد لله بالروح والحق" (يو24:4).

9ـ ولكيما يصلى الروح نفسه فينا، لكيما يعلمنا الروح بنفسه تلك الصلاة الحقيقية ـ التي لم نحصل عليها حتى الآن رغم أننا نغصب أنفسنا إليها، ويعلمنا التواضع الحقيقي الذي لا نستطيع الآن أن نصل إليه، حتى بالتغصب، ولكي يعلمنا أن نثمر بالحق أحشاء رأفات (كو3:12)، وشفقة، وكل وصايا الرب بدون تعب أو تغصب، كما يعرف الروح نفسه كيفية ذلك حين يملأنا بثماره.

وهكذا إذ نتمّم وصايا الرب بواسطة روحه، الذي هو وحده يعرف مشيئة الرب، وإذ يكمّلنا الروح في ذاته وهو نفسه يكمل فينا حينما نتطهر من كل دنس ولطخة الخطية، فإنه يحضر نفوسنا طاهرة وبلا عيب، كعرائس جميلات إلى المسيح، ونستريح في الله في ملكوته، ويستريح الله فينا إلى دهر الدهور.

فالمجد لتعطفاته، ورحمته ومحبته لأنه أعطى لجنس البشر مثل هذه الكرامة والمجد، وأنعم عليهم أن يصيروا أبناء للآب السماوي ودعاهم أخوة له خاصة. له المجد إلى الأبد آمين.

العظة العشرون

لباس الروح

"المسيح، الطبيب الحقيقي للإنسان الداخلي، وهو يستطيع وحده أن يخلّص النفس، ويزيّنها بثوب النعمة "

1 ـ إن كان أحد عريانًا لقلة الملابس الإلهية السماوية التي هي قوة الروح القدس كقول الرسول " إن كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس من خاصته" (رو8:9). فليبك ويتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب

الروحاني الذي من السماء ويأخذ غطاءً لنفسه العارية من القوة الإلهية لأن الإنسان غير المكسو بكساء الروح هو مكسو بالعيب العظيم: عيب الأهواء الدنيئة.

لأنه كما في الأشياء المنظورة إن كان أحد عريانا يحل به خزي وفضيحة عظيمة بل إن الأصدقاء ينصرفون عن أصدقائهم العرايا والأقارب عن أهاليهم. بل أن من البنين من رأوا أباهم عريانًا وصرفوا عنه وجوههم لكيلا يعاينوا جسد أبيهم العريان، وإنما رجعوا على أعقابهم وستروه. ولذلك ارتفعت عنه عيونهم. كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسوة بلباس الروح في ملء ثقة الايمان لكونها لم تلبس الرب يسوع (رو14:13). بالقوة والحق.

خطورة العرى الروحي :

2ـ ثم أن الإنسان الأول لما رأى نفسه عريانًا خجل. فما أعظم فضيحة العرى. فإذا كان من جهة الجسد يعتبر العرى فضيحة كبرى، فكم بالحري النفس العارية من القوة الإلهية التي لا تكتسي ولا تلبس اللباس الأبدي الروحاني غير الموصوف وهو الرب يسوع نفسه بالحق ـ وهي مغطاة بالخجل والأهواء الرديئة، وكذلك كل من كان غير مكتسى بذلك المجد الإلهي يجب عليه أن يستحى ويقر بفضيحته كما استحى آدم من عرى جسده.

ومع أنه ستر نفسه بورق التين فلم يزل خجله مصاحبًا له لعلمه بفقره وعريه جدًا. فعلى هذه النفس أن تطلب من المسيح الذي يعطى المجد لكى يكسوها بالمجد في النور الذي لا يوصف، بدون أن تعمل لنفسها غطاء من الأفكار الباطلة أو تنخدع بزعمها أنها بارة من نفسها وأنها تملك لباس الخلاص.

المسيح هو بر الله لنا :

3 ـ فإنه أن استند أحد على بره ولم يتطلع إلى بر الله، هذا البر الذي هو الرب يسوع " الذي صار لنا برًا وفداءً" (1كو30:1). كما يقول الرسول، فإن تعبه يصبح باطلا لا ثمرة له، لأن كل زعمه ببره يظهر في اليوم الأخير كلا شيء بل يكون مثل خرقة نجسة كما قال أشعياء النبى " كخرقة الحائض كل برنا" (انظر إش6:64).

فلنطلب إذن من الله ونتوسل إليه أن يلبسنا لباس الخلاص وهو الرب يسوع المسيح، النور الفائق الوصف الذي إذا لبسته النفوس لا تخلعه قط. بل تتمجد أجسادهم أيضا في القيامة بمجد ذلك النور الذي تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة منذ الآن حسب قول الرسول " إن ذلك الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادهم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم" (رو11:8). فالمجد لمراحمه المتعطفة ولرأفته التي تفوق كل وصف وكل تعبير.

4ـ وأيضا كما أن المرأة التي كانت معتلّة بنزف الدم لما صارت مؤمنة بالحق، ولمست طرف ثوب ربنا شفيت حالاً وانقطع نزيف دمها النجس، كذلك كل نفس فيها جرح الخطية الذي لا شفاء له، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة، إن هي أتت فقط إلى المسيح وصلت إليه بإيمان صحيح فإنها تعود إلى الصحة وتخلص من ينبوع الأهواء الفاسدة الذي لم يكن له علاج. وذلك الينبوع الذي يخرج أفكارًا نجسة لا ينقطع ويجف إلا بقوة المسيح فقط، وليس لأحد غيره قدره على شفاء هذا الجرح.

لأن العدو كان محتالا للغاية في معصية آدم حتى أنه جرح الإنسان الباطن وأظلمه أى العقل المرشد الذي ينظر الله. فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطية والأهواء وكانت مغلقة عن رؤية خيرات السماء.

المسيح وحده هو الذي يخلص ويشفي النفس مجانًا:

5 ـ فهذه كانت شدة جرح آدم حتى أنه لم يستطع أن يشفه منه غير الرب وحده. فهذا مستطاع عنده وحده. ولهذا فقد جاء " ورفع خطية العالم" (يو1:29)، أى جفف الينبوع النجس. ينبوع أفكار النفس. لأنه كما أن تلك المرأة التي كانت مريضة بنزف الدم كانت قد صرفت كل ما كان لديها على الذين وعدوها بالشفاء ولم يشفها أحد، إلى أن أتت إلى الرب بإيمان صادق ولمست طرف ثوبه فشعرت حينئذ بالشفاء في الحال، ووقف نزف الدم. كذلك هو حال النفس التي جرحت منذ البدء بجرح أهواء الخطية الذي لا شفاء له، فلم يقدر أن يعالجه أحد من الأبرار. كلا ولا الآباء ولا البطاركة.

6ـ ولقد أتى موسى ولكنه لم يقدر أن يعطى شفاءً كاملاً. والكهنة والعطايا والعشور والسبوت والأهلة والغسلات والذبائح والمحرقات وسائر تفرعات البر كانت تحفظ جميعها بالدقة تحت الناموس. ومع ذلك لم يمكن بها شفاء النفس وتطهيرها من الينبوع النجس أى ينبوع أفكار الخطية. وكل بر النفس لم ينفع لشفاء الإنسان إلى أن أتى المخلص نفسه الطبيب الحقيقي الذي يشفي مجانا فبذل نفسه فداء لجنس البشر. فهو وحده صنع فداء النفس العظيم وخلاصها وشفاءها، وهو ذاته الذي حرّرها من العبودية وأخرجها من الظلمة ممجدًا إياها بنوره الخاص. فهو حقا جفف ينبوع الأفكار النجسة الذي كان فيها لأن الكتاب المقدس يقول " هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو1:29).

الدواء الوحيد :

7 ـ لأن أدوية النفس التي كانت من الأرض، يعنى أفعالها البارة لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة غير المنظورة بل يتم الشفاء بالطبيعة السماوية الإلهية التي لموهبة الروح القدس. فإنه بواسطة هذا الدواء فقط يمكن للإنسان أن يجد الشفاء ويحصل على الحياة إذ يتطهر في قلبه بالروح القدس. ولكن كما أن تلك المرأة، بالرغم من أنها لم تكن قد شُفيت بعد وكان مرضها فيها، إلاّ أنها جاءت بقدميها إلى الرب، وعند مجيئها نالت الشفاء.

وكما أن الأعمى أيضًا الذي لم يقدر أن يمشى ليأتي إلى الرب، بسبب عماه، صرخ إليه صرخة شديدة وصل بها إلى الرب لأنه قال " ارحمني يا ابن داود" (مز 47:10) وبإيمانه نال الشفاء إذ أن الرب أتاه بنفسه وجعله يبصر بوضوح. كذلك النفس ولو أنها جرحت بجروح الأهواء الفاسدة وعميت بظلمة الخطية فمع ذلك لا تزال فيها الإرادة أن تصرخ إلى يسوع وتناديه ليأتي ويصنع لها فداءً أبديًا .

ضرورة المجيء إلى المسيح بثقة الايمان :

8ـ لأنه كما أن الأعمى لو لم يصرخ إلى الرب، والمرأة التي كان بها النزف الدموي لو لم تأتِ إليه لما وجدا الشفاء، كذلك الآن إن لم يأت الإنسان إلى الرب بإرادته وبكل نية قلبه ويطلب منه بثقة الإيمان التامة فلا يشفي أبدًا. فلماذا شفي هذان الاثنان للوقت بإيمانهما، ونحن لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نشف من أمراضنا الخفيّة؟.

إن الرب يهتم ويعتني بالنفس غير المائتة أكثر من الجسد، لأنها إن انفتحت عينيها، كما يقول " افتح عيني" (مز 18:119) فلا تعمى أبدًا فيما بعد. وإن شفيت فلا تعود تنجرح أبدًا. فإنه إن كان الرب عند مجيئه على الأرض اعتنى بالأجساد الفاسدة، فكم بالحري يعتني بالنفس غير المائتة المصنوعة على شبهه؟ ولكن بسبب قلة إيماننا وانقسام قلوبنا وعدم محبتنا له من كل القلب، وعدم إيماننا به حقيقة ، لذلك لم نجد بعد الشفاء الروحي والخلاص.

فلنؤمن به إذن ولنأت إليه بالحقيقة لكى يتم فينا حالاً عمل الشفاء الحقيقي لأنه وعد بأنه يعطى للذين يسألونه روحه القدوس ويفتح للذين يقرعون وبأن الذين يطلبونه يجدونه. فالذي وعد لا يمكن أن يكذب له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الحادية والعشرين

الحرب الروحية

"الإنسان المسيحي يخوض معركتين، معركة داخلية وأخرى خارجية.

المعركة الخارجية هي في ابتعاده عن الارتباكات العالمية وأما المعركة الداخلية فتحدث في القلب ضد إيحاءات أرواح الشر".

الحرب الخارجية والحرب الداخلية :

1ـ الإنسان الذي يريد حقيقة أن يرضى الله ويكون معاديًا حقًا للعدو الشرير، ينبغي أن يقاتل في معركتين. معركة منها تكون في الأمور المنظورة لهذه الحياة، وذلك بأن يتحول تماما ويبتعد من الارتباكات الأرضية ومحبة الارتباطات العالمية ومن الشهوات الخاطئة.

والمعركة الأخرى تحدث في الداخل ـ في الخفاء ضد أرواح الشر نفسها، كما يقول الرسول " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف12:6).

نوعان من القيود :

2 ـ فالإنسان حينما تعدى الوصية وطرد من الفردوس، صار مقيدًا من ناحيتين، وبقيدين مختلفين. أحد هذين القيدين كان عن طريق هذه الحياة، أى في اهتمامات المعيشة ومحبة العالم، أعنى محبة اللذّات الجسدية والشهوات، ومحبة الغنى والعظمة والمقتنيات والزوجة والأولاد، والأقرباء والأهل والبلد، والأماكن الخاصة، والملابس وكل الأشياء الأخرى المتصلة بالحواس، والتي تحثه كلمة الله على أن ينفك منها باختياره، (حيث إن ما يربط أى إنسان بكل أمور الحواس إنما يكون باختياره ورضاه)، حتى إذا تحرر من كل هذه الاهتمامات يستطيع أن يحفظ الوصية حفظًا كاملاً.

وإلى جانب هذا الرباط ـ ففي كيان الإنسان الداخلي، تكون النفس محاصرة بسياج ومربوطة بقيود الظلمة من أرواح الشر، فيكون الإنسان غير قادر أن يحب الرب كما يريد، أو أن يؤمن كما ينبغي، أو أن يصلى كما يرغب. فمن كل ناحية توجد مقاومة سواء في الأمور المنظورة والظاهرة أو في الأمور الخفيّة غير المنظورة، وهذه المقاومة قد نتجت وصارت فينا من سقوط الإنسان الأول.

قبول الكلمة واكتشاف الحرب الداخلية :

3 ـ لذلك فحينما ينصت أى إنسان لكلمة الله ويقبلها، ويدخل في المعركة ويلقى عنه اهتمامات هذه الحياة ورباطات العالم وينكر كل اللذات الجسدية ويتحرر منها، فبعد ذلك إذ يلازم الرب وينتظره في الصلاة وبمداومة، فإنه يصير في وضع يمكنه من أن يكتشف وجود حرب أخرى في داخل قلبه، إنه يكتشف مقاومة خفية وحرب أخرى مع إيحاءات أرواح الشر وتنفتح أمامه معركة أخرى.

وهكذا بوقوفه ثابتًا صارخًا إلى الرب بإيمان لا يتزعزع وصبر كثير، منتظرًا الحماية والمعونة التي تأتى منه، فإنه يستطيع أن يحصل من الرب على حرية داخلية من القيود والسياجات والهجمات وظلام أرواح الشر التي تعمل في مجال الشهوات والأهواء الخفية.

نعمة الله تبطل الحرب تمامًا :

4 ـ ولكن هذه الحرب تبطل وتنتهي تمامًا بنعمة الله وقوته. فلا يستطيع إنسان بذاته، أن ينقذ نفسه بقوته الخاصة من مقاومة وغوايات الأفكار والشهوات الداخلية وحيل الشر.

أما إذا كان الإنسان مربوطا بالأمور المادية الحسية التي لهذا العالم، وواقعا في شرك الرباطات الأرضية المتنوعة ومنساقا بشهوات الشر، فإنه لا يستطيع حتى أن يكتشف وجود معركة أخرى، وأن هناك حرب تدور في داخل نفسه.

فالإنسان حينما يدخل المعركة ويتحرر من الرباطات العالمية الخارجية ويحل نفسه من الأمور المادية ولذات الجسد ويبتدئ أن يتعلّق بالرب ويلتصق به مفرغا نفسه من هذا العالم، فإنه حينئذ يستطيع أن يرى ويكتشف حرب الشهوات والأهواء الداخلية التي تحدث في باطنه. ويصير واعيًا وعارفًا بهذه الحرب الداخلية، حرب الإيحاءات الشريرة.

وكما قلت سابقًا، فإنه إذا لم يناضل وينكر العالم ويتحرّر من الشهوات الأرضية بكل قلبه ويشتهى ويصمم بكل نفسه أن يصير ملتصقا كلية بالرب، فإنه لا يكتشف ولا يعرف خداع أرواح الشر الخفي وشهوات الشر الخفيّة. ويظلّ غريبًا عن نفسه ولا يعرف أنه مجروح من الداخل وأن فيه شهوات خفية وهو لا يدرى بها. لأنه لا يزال مربوطًا بالأشياء الخارجية ومتعلقًا بأمور هذا العالم وارتباكاته برضاه وموافقته.

نوال السلاح السماوي والانتصار :

5 ـ ولكن الإنسان الذي رفض العالم حقا وطرح عنه ثقل هذه الأرض وألقى عنه الشهوات الباطلة الجسدية، وشهوات المجد والسلطان والكرامات البشرية وابتعد عنها جميعا بكل قلبه ـ (حيث إن الرب يعطيه النعمة والمعونة سرًا في هذا الصراع المستمر، حتى أنه يتنكر للعالم تمامًا) ـ ووضع في قلبه بثبات أن يخدم الرب ويعبده ويلتصق به بكل كيانه، جسدًا ونفسًا ، مثل هذا الإنسان، أقول، إنه يكتشف وجود المقاومة، أى الأهواء الخفية والقيود غير المنظورة والحرب الخفية ـ أى المعركة والصراع الداخلى، وهكذا إذ هو يتوسل إلى الرب، فإنه ينال السلاح السماوي: سلاح الروح القدس، الذي وصفه الرسول المبارك بقوله " درع البر، وخوذة الخلاص، وترس الايمان، وسيف الروح" (أف14:6). وإذ يتسلح بهذه الأسلحة فإنه يستطيع أن يقف ضد خداعات إبليس، حتى رغم كونه محاطًا بالشرور.

وإذ قد سلّح نفسه بهذا السلاح بكل صلاة ومواظبة وطلبة وصوم مع إيمان، فإنه يصير قادرا أن يحارب ضد الرئاسات والسلاطين وولاة ظلمة هذا العالم، وهكذا بانتصاره على القوات المعادية بمساعدة الروح القدس مع سعيه وغيرته في كل فضيلة فإنه يكون معدا للحياة الأبدية ، ممجدًا للآب والابن والروح القدس الذي له المجد والقدرة إلى الأبد آمين

العظة الثانية والعشرون

حالة النفس بعد الموت

"الحالتان اللتان تكون عليهما النفوس التي تنتقل من هذه الحياة "

1 ـ حينما تخرج نفس الإنسان من الجسد فإن هناك سر عظيم يتحقق. فإن كان الشخص المنتقل تحت ذنب الخطية فإن جماعات من الشياطين والملائكة الساقطين وقوات الظلمة يأتون ويأسرونه ويأخذون تلك النفس إلى مكانهم. ولا ينبغي أن يتعجب أحد من هذه الحقيقة. لأنه إذا كان هذا الإنسان أثناء حياته في هذا العالم خاضعًا لهم وعبدًا مطيعًا لهم، فكم بالحري عندما يترك هذا العالم، فإنه يصير أسيرًا لهم في مملكتهم.

2 ـ ويمكنك أن تفهم هذا الأمر، مما يحدث لأولئك الذين في الجانب الآخر ـ جانب الصلاح والغبطة.

فإن عبيد الله القديسين تحرسهم الملائكة باستمرار وتحيط بهم الأرواح المقدسة وتحميهم، وحينما يخرجون من الجسد، فإن جماعات الملائكة تستلم نفوسهم وتحملها معهم إلى مساكنهم في عالم الأبدية النقي، وهكذا يحضرونهم إلى الرب، الذي يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الثالثة والعشرون

العائلة السماوية وسلاح الروح

"كما أن الجوهرة الملوكية الثمينة لا يستطيع أحد أن يلبسها إلا المولودين من نسل الملوك ،

هكذا فإن أولاد الله فقط هم الذين يسمح لهم أن يلبسوا الجوهرة السماوية " .

المولودون من الروح :

1 ـ إن الجوهرة العظيمة الثمينة الملوكية، والتي تختص بالتاج الملوكي، إنما تليق بالملك وحده. والملك فقط هو الذي يستطيع أن يلبس هذه الجوهرة ولا يسمح الإنسان آخر أن يلبس مثل هذه الجوهرة. هكذا أيضا، إذا لم يولد لإنسان من روح الله الملوكي، ويصير من أعضاء العائلة السماوية الملوكية وابنا لله بحسب المكتوب: " وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله" (يو12:1)، فلا يستطيع أن يلبس الجوهرة السماوية الثمينة جدًا، أى صورة النور الذي لا يعبر عنه ـ الذي هو الرب نفسه، وذلك لأنه ليس ابنًا للملك. لأن أولئك الذين

يمتلكون الجوهرة ويلبسونها، إنما يحيون مع المسيح ويملكون معه إلى الأبد. لهذا يقول الرسول "كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (1كو41:15).

2 ـ وكما أن الجواد طالما هو يرعى مع الحيوانات الوحشية في البرية، فإنه لا ينقاد للناس ولا يطيعهم. ولكن بعد أن يمسك لكى يروض، فإنهم يضعون عليه لجاما ثقيلا إلى أن يتعلم أن يسير بنظام وانضباط. بعد ذلك يمكن أن يركبه راكب ماهر ليدربه لكى يصير نافعًا في الحروب . وبعد ذلك يضعون عليه السلاح :

الدرع الزرد[1] وبعد أن يرفعوا عنه اللجام ويهزونه أمام عينيه لكى يتعود عليه ولا يخاف منه. وهكذا يعلّمه الفارس، حتى يستطيع أن يشترك في الحرب. لأنه بدون درع ولجام فإن الحصان لا يكون ذو نفع في الحرب. ولكن بعد أن يتدرب ويعتاد الحرب، فإنه بمجرد أن يشم رائحة المعركة ويسمع صوت الحرب فإنه في الحال يهجم على العدو من نفسه حتى أن الصوت الذي يصنعه الجواد يكون كافيًا لإلقاء الرعب في قلب العدو.

روح المسيح يغير الإنسان :

وبنفس الطريقة فإن الإنسان منذ السقوط صار متوحشا وغير مطيع وهو يتجول في برية العالم مع الوحوش، التي هي أرواح الشر. وهو تحت الخطية ويرفض أن يخدم ويطيع. ولكن حينما يسمع كلمة الله، ويؤمن فإن الروح يلجمه ويجعله يخلع عنه عاداته الوحشية وأفكاره الجسدية إذ يصير الآن تحت قيادة المسيح الذي يسوقه ويقوده.

وبعد ذلك يتعرّض الإنسان لشدائد ويختبر ضيقات في ترويضه للخضوع لنير المسيح. وهذا يكون كامتحان للنفس حتى تصبح بالتدريج مطيعة رقيقة سهلة الانقياد بواسطة الروح. والخطية التي فيها تتناقص بالتدريج إلى أن تتلاشى كلية. وهكذا إذ يلبس الإنسان " درع البر " و " خوذة الخلاص " و " ترس الإيمان " و " سيف الروح" (أف14:6)، فإنه يتعلّم أن يحارب ضد أعدائه.

وهكذا إذ يتسلّح بروح الرب فإنه يقاتل أرواح الشر، ويطفئ سهام الشرير الملتهبة. ولكن بدون سلاح الروح لا يتقدم إلى خط القتال، ولكن، حينما يحصل على سلاح الرب فإنه بمجرد أن يسمع ويحس بوجود الحروب فإنه يتقدم، " بصياح وهتاف"كما يقول في أيوب (أى25:39)، لأن مجرد صوت صلاته يوقع الأعداء ساقطين على الأرض. وهكذا إذ يقاتل وينتصر في الحرب بقوة الروح، فإنه ينال أكاليل الغلبة بثقة عظيمة وهكذا يجد راحة ويستريح مع الملك السماوي، الذي يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

---

[1] الزرد هى قطعة من السلاح مصنوعة من حلقات حديدية على شكل ضفيرة تغطى الصدر تماما

العظة الرابعة والعشرون

الربح العظيم والخميرة السماوية

"حالة المسيحيين تشبه التجارة وتشبه الخميرة. وكما أن التجار يجمعون الأرباح الأرضية،

هكذا فإن المسيحيين يجمعون أفكارهم المشتتة في العالم. وكما أن الخميرة تخمر العجين كله، هكذا فإن خمير الخطية يتغلغل في كل نسل آدم، ولكن المسيح يسكب في النفوس المؤمنة خميرة الصلاح السماوية."

التجارة العظيمة :

1ـ إن المسيحيين يشبهون التجار الذين يتاجرون للمكاسب العظيمة وكما أن التجار يجمعون مكاسب أرضية من الأرض، هكذا المسيحيون أيضا يجمعون أيضًا أفكار قلوبهم من الأرض كلها، التي تكون قد تشتّت في هذا العالم الحاضر. وهم يفعلون هذا بواسطة كل الفضائل وبمعونة قوة الروح القدس. وهذه هي التجارة العظمى والحقيقية.

لأن هذا العالم يتعارض مع العالم السماوي، وهذا الدهر هو مخالف للدهر الأبدي لذلك فينبغي على المسيحي، حسب تعليم الكتاب المقدس، أن يجحد العالم وينتقل ويرتفع بفكره عن هذا العالم الحاضر، (الذي يوجد فيه العقل الآن وهو يتعرض للإغراءات وذلك منذ سقوط آدم) إلى عالم آخر، العالم السماوي. وينبغي أن يحيا بفكره في العالم الإلهي في الأعالي كما هو مكتوب " أن سيرتنا هي في السموات" (في3:20).

2ـ ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إذا لم يجحد المسيحي هذا العالم ويؤمن بالرب من كل قلبه. وفي هذه الحالة فإن قوة الروح الإلهي تستطيع أن تجمع القلب المشتت في الأرض كلها وتأتى به إلى محبة الرب وتنقل الذهن إلى العالم الأبدي.

خميرة الشر:

لأنه منذ سقوط آدم، قد تشتت أفكار النفس بعيدا عن محبة الله متجهة إلى هذا العالم، واختلطت بالأفكار المادية الأرضية. وكما أن آدم حينما تعدى قبل في ذاته خميرة الأهواء الشريرة وهكذا اشترك في هذه الخميرة كل الذين ولدوا منه أى كل جنس البشر ـ وقد نمت وتكاثرت خميرة الشر في الناس حتى وصلوا إلى الفسق والنجاسة والدعارة وعبادة الأصنام والقتل وغيرها من الأعمال الشنيعة حتى تشبع الجنس البشرى بخميرة الخطية. وتزايد الشر بين الناس للدرجة التي ظنوا فيها أنه لا يوجد إله وصاروا يعبدون الأحجار العديمة الحس ولم يستطيعوا حتى أن يتصوروا بفكرهم وجود الله. إلى هذه الدرجة قد تخمّر نسل آدم القديم كله بخميرة الأهواء الشريرة.

المسيح الفادي والخميرة السماوية:

3 ـ وبنفس الطريقة فإن الرب ، حينما أتى على الأرض، سُرّ أن يتألم عن الجميع لكى يشتريهم ويستردهم بدمه، ولكى يضع خميرة الصلاح السماوية في النفوس المؤمنة، التي كانت مسحوقة ومذلولة تحت الخطية ـ ثم سر

أيضا أن يحقق ويكمل فيهم كل بر أوصاهم به وكل فضيلة وذلك بواسطة عملية النمو والتقدم إلى أن يتخمروا إلى واحد في الصلاح، ويصيروا مع الرب "روحًا واحدًا".

كما يقول القديس بولس (1كو17:6)، وحتى أن الخطية والشر لا تستطيع حتى بالفكر أن تأتى إلى النفس التي تتخمر هكذا تماما وكلية بالروح الإلهي كما هو مكتوب " المحبة لا تفكر بالشر" (1كو5:13).

ولكن بدون الخميرة السماوية التي هي قوة الروح الإلهي، لا يمكن للشخص أن يتخمر بصلاح الرب ويصل إلى الحياة. كما أن أبناء آدم لم يكونوا ليخدعوا بالشر والخطية ويتحولوا إليها لو لم تكن خميرة الشر، التي هي الخطية، قد دخلت إلى آدم نفسه، تلك الخميرة الشريرة هي قوة من الشيطان ذات طبيعة روحية عقلية.

4ـ وكما يحدث في حالة الإنسان الذي يعجن دقيقا بدون أن يضع فيه خميرة، فمهما كان الجهد الذي يبذله في تقليبه وعجنه، فإن العجينة تظل غير مخمرة وغير مناسبة للأكل، ولكن إذا وُضِعت الخميرة في العجين فإنها تجتذب كل كتلة العجين وتخمّرها كلها وتجعلها خميرا كما قال الرب في مثله عن الملكوت، " يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع" (مت33:13).

مزج خميرة الروح:

إذا كان إنسان عنده لحوم ويلزم أن يحفظها ولكنه لم يملّحها بالملح الذي يقتل الدود ويمنع الرائحة الكريهة، فإن اللحوم تنتن وتتعفن وتصبح غير صالحة لاستعمال الناس. وبنفس الطريقة انظر إلى كل جنس البشر وتصوّرهم كلحم أو كعجين غير مختمر وتيقن أن الملح والخميرة إنما ينتميان إلى عالم آخر، أى طبيعة الروح القدس الإلهية.
والآن إذا لم تمتزج خميرة الروح السماوية ـ ذلك الملح الصالح المقدس، ملح اللاهوت، الذي من فوق ـ إذا لم يمتزج ويدخل في طبيعة البشر الضعيفة فإن الإنسان لا يستطيع أن يتخلّص من رائحة الخطية الكريهة. مثل ذلك الإنسان لا يتخمّر لكى يخلع عنه ثقل الخطية ويتحرر وينفك من حالة عدم التخمر (بالروح) الناتجة من الشر.

5 ـ فكل ما يظن الشخص أنه يفعله بذاته، ويبذل جهدا واهتماما وتعبا كثيرا في تتميمه معتمدًا على قواه الخاصة وحدها ويظن أنه يستطيع أن يحقق نجاحا كاملا بذاته، بدون معونة الروح القدس، فإنه يضل ضلالا عظيمًا، فمثل هذا الموقف لا يناسب من يسعى إلى السماويات ـ إلى الملكوت. إذ أن مثل هذا الشخص يعتقد أنه يستطيع من ذاته وبذاته وحدها بدون الروح، أن يصل إلى النقاوة الكاملة.

فإذا لم يأت الإنسان ـ المعذب بالأهواء إلى الله منكرًا العالم، ويؤمن ويثق برجاء وصبر أنه سينال شيئا صالحا مختلفًا تمامًا عن طبيعته الخاصة، وأعنى به قوة الروح القدس، وإن لم يسكب عليه الرب من فوق حياة اللاهوت، فإن هذا الإنسان لن يختبر الحياة الحقيقية أبدًا (الحياة الإلهية)، ولن يفيق من سكر الأمور المادية. ولن تضيء إنارة الروح ـ ساطعة بلمعان وبهاء ـ في تلك النفس المظلمة، ولن تنيره بنور "يوم مقدس" ولن يستيقظ من سبات الجهل العميق، ليمكنه إذا استيقظ أن يعرف الله حقيقة عن طريق قوة الله وفاعلية نعمته.

6 ـ لأنه إذا لم يُحسب الإنسان أهلاً بالإيمان، أن ينال النعمة فلا نفع فيه ولا يكون لائقًا للملكوت. ولكن من الجهة الأخرى فإنه إذا نال نعمة الروح ولم يتغير ذهنه أو إذا لم يقاوم النعمة بالإهمال أو ردئ الأعمال، وهكذا يجاهد زمنا لكى لا يحزن الروح، فإنه يحسب أهلا للشركة في الحياة الأبدية، فإنه كما أن الإنسان يدرك تأثيرات الشر عن طريق معرفته بالأهواء ذاتها، أعنى عن طريق الغضب والشهوة والحسد والهم الرديء، والأفكار الشريرة وغير ذلك من الأشياء الخاطئة، هكذا أيضا يجب على الإنسان أن يدرك فعل النعمة وقوة الله عن طريق الفضائل،

أعنى عن طريق المحبة والشفقة والصلاح والفرح، والبساطة والبهجة الإلهية لكى يصير مشابهًا للطبيعة الصالحة الإلهية ومشتركًا معها بفاعلية النعمة اللطيفة المقدّسة وحينما تمتحن إرادة الإنسان مع الزمن والنمو وبحسب الفرصة (المتاحة له)، لكى يظهر ما إذا كان الإنسان متفقًا مع النعمة باستمرار ومرضيًا لها، فإنه بالتدريج يتحول ليصير متفقًا تمامًا مع الروح، وهكذا يصير مقدسا ونقيا بواسطة فعل الروح ويصير لائقًا للملكوت. والمجد والعبادة والسجود للآب الكلى الطهارة، وللابن وللروح القدس إلى الأبد. آمين.

العظة الخامسة والعشرون

قوة سرّ الصليب والنار الإلهية

" هذه العظة تعلّم بأنه لا يستطيع إنسان، بدون أن يتأيد بالمسيح، أن يغلب عثرات الشرير،

وما ينبغي أن يفعله أولئك الذين يطلبون المجد الإلهي باشتياق، وتعلم أيضًا أنه بواسطة عصيان آدم قد نزلنا جميعًا إلى عبودية الشهوات اللحمية،

والتي أُنقذنا منها بالسرّ المختفي في الصليب، وتعلّم العظة أيضًا أن قوة الدموع والنار الإلهية هي قوة عظيمة " .

السرّ الذي في الصليب :

1 ـ أولئك الذين كُتب في داخلهم الناموس الإلهي، ليس بحبر وحروف بل هو مطبوع في قلوب لحمية، فهؤلاء إذ قد استنارت عيون أذهانهم ويتطلعون إلى الرجاء الذي لا يُلمس ولا يُرى بل هو غير منظور وغير مادي فهؤلاء يملكون القوة أن يغلبوا عثرات الشرير وذلك بقوة لا يمكن أن تُقهر.

أما أولئك الذين لم يُكرّموا ويتشرفوا بكلمة الله ولم يتهذبوا بالشريعة الإلهية فإنهم " ينتفخون باطلاً" (كو2:8). وهم يظنون أنهم بإرادتهم الحرة يستطيعون أن يقطعوا أسباب الخطية التي يُحكم عليها فقط بواسطة

السر الذي في الصليب أن إرادة الإنسان الحرة لها سلطان أن تقاوم الشيطان، ولكنها لا تمتد إلى السيادة المُطلقة على الشهوات.

" فإن لم يبن الرب البيت ـ كما يقول الكتاب ـ وإن لم يحفظ المدينة فباطلاً يسهر الحارس، وباطلاً يتعب البانى" (مز1:127).

2 ـ لأنه لا يستطيع احد أن يطأ على " الأفعى والحيّة ويدوس الأسد والتنين" (مز13:91) إن لم يطهّر نفسه أولاً ـ بأقصى ما في طاقة الإنسان ـ وأن يتأيد بقوة ذلك الذي قال لرسله: " ها أنا أعطيكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو19:10).

حاجتنا للروح القدس للغلبة وللتبنى :

فلو كانت طبيعة الإنسان لها القدرة بدون سلاح الروح القدس الكامل أن " تقف ضد مكايد إبليس" (أف11:6)، لما كان الرسول قد قال بتأكيد: " إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا" (رو20:16).

وأيضًا " الذي سيبيده الرب بنفخة فمه" (2تس8:2). لهذا السبب أيضًا قد أوصانا الرب أن نصلى ونطلب قائلين " ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير" (مت13:6). فإن لم تخلّصنا معونة القوة العليا من سهام الشرير الملتهبة، وإن لم نُحسب أهلاً لأن نكون أبناء بالتبني، فإن حياتنا على هذه الأرض تكون حينئذٍ باطلة وبلا هدف، إذ نوجد بعيدين عن قوة الله.

3 ـ لذلك فمن يريد ويشتهي أن يصير شريكًا في المجد الإلهي، وأن يرى كما في مرآة صورة المسيح في داخل عقله، فينبغي أن يطلب معونة الله التي تتدفق منه بقوة ـ يطلبها بحب مشتعل لا ينطفئ وبرغبة حارة من كل قلبه وكل قدرته، ليلاً ونهارًا، هذه المعونة الإلهية التي لا يمكن نوالها،

كما قلت سابقًا إن لم يتخل الإنسان عن لذة العالم وعن شهوات ورغبات القوة المعادية، والتي هي أجنبية عن النور ومخالفة له وهي من نشاط وعمل الشرير، وليس لها أى قرابة أو مشابهة لعمل الصلاح بل هي غريبة تمامًا عنه.

حالة الإنسان العتيق :

لذلك، فإذا أردنا أن نعرف لماذا نحن الذين قد خُلقنا في كرامة ووُضعنا لنحيا في الفردوس، صرنا بعد ذلك " مثل البهائم التي لا تفهم وشُبهنا بها" (مز12:49،20)، إذ قد سقطنا من المجد الأصلي، فاعرف أننا بواسطة التعدي، صرنا عبيدًا للأهواء الجسدية. لقد أخرجنا أنفسنا من " أرض الأحياء المغبوطة" (مز9:116) وسرنا إلى الأسر حيث لا نزال " جالسين على أنهار بابل" (مز1:137).

ولأننا لا نزال محبوسين في " مصر " ، لذلك فإننا لم نرث بعد أرض الموعد، " التي تفيض لبنًا وعسلاً" (خر8:3). إننا لم نتخمّر بعد " بخميرة الإخلاص" (1كو8:5)، ولكننا لا نزال في "خميرة الشر". إن قلبنا لم يُرش بعد بدم الله، لأن " فخ جهنم" (أم18:9 السبعينية)، وصنارة الخطية لا تزال منصوبة فيه.

4 ـ إننا إلى الآن لم نقبل بهجة خلاص المسيح، لأن " شوكة الموت" (1كو55:15) لا تزال جذورها فينا. إننا لم نلبس بعد " الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله في القداسة" (أف24:5). لأننا لم نخلع بعد " الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الخطية" (أف 22:4). إننا لم نحمل بعد "صورة السماوي" (1كو49:15).

ولم نصر " مشابهين لصورة مجده" (في21:3). إننا لم نعبد الله " بالروح والحق" (يو24:4) لأن " الخطية تملك في جسدنا المائت" (رو12:6).

إننا لم نرَ بعد " مجد الله الذي لا يفنى" (رو23:1) لأننا لا نزال تحت سطوة " الليل المظلم" (مز11:2). وإلى الآن لم " نلبس أسلحة النور" (رو12:13) لأننا لم نلق عنا سلاح الظلمة وسهامها وأعمالها. نحن " لم نتغيّر بعد عن شكلنا بتجديد أذهاننا"، لأننا لا نزال " مشاكلين ومطابقين لهذا العالم" (رو2:12)، " في الذهن الباطل" (أف17:4). إننا لم " نتمجد بعد مع المسيح، لأننا لم نتألم بعد معه" (رو17:8). إننا لا " نحمل سماته بعد في جسدنا" (غل17:6) لأننا لا نحيا في سر صليب المسيح، لأننا لا نزال في " أهواء وشهوات الجسد" (غل 24:5). إننا لم نصر بعد " ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو7:8)، لأن " روح العبودية" لا يزال فينا وليس " روح التبني" (رو15:8)، وحتى الآن لم " نصر هيكلاً ومسكنًا للروح القدس" (1كو16:3)، لأننا لا نزال هيكلاً للأصنام ومستودعًا لأرواح الشر بسبب تعلقنا بالشهوات.

5 ـ وفي الحقيقة أننا إلى الآن لم نحصل على بساطة السيرة واستنارة العقل. وإلى الآن لم نُحسب أهلاً لنوال " اللبن العقلى العديم الغش" (1بط2:2)، والنمو الروحى غير المنظور. وإلى الآن لم ينفجر النهار ولم يطلع كوكب الصبح في قلوبنا (2بط19:1).

" إننا لم نمتزج بشمس البر" (ملا2:4). ولا ابتدأنا أن نضوء بأشعته. إننا لم نقبل بعد " شبه الرب" (تك26:1)، ولا صرنا " مشاركين للطبيعة الإلهية" (2بط4:1). وإلى الآن لم نتحوّل إلى ذلك الأرجوان الملوكى الحقيقى، ولا صرنا صورة الله الحقيقية. إننا لم نسبى بعد بالحب الإلهي ولا انجرحنا بمحبة العريس الروحانية. إننا لم نعرف بعد تلك الشركة السرّية التي تفوق الوصف ولم نعرف القوة والسلام الموجودان في القداسة. وبكلمة واحدة فإننا لسنا بعد " جنسًا مختارًا، كهنوتًا ملوكيًا، أمة مقدسة، شعب اقتناء" (1بط9:2) لأننا لا نزال إلى الآن " حيات وأولاد أفاعى" (مت33:23).

أنوح وأبكى أمام الله على شقاوتنا :

6 ـ وكيف لا نكون سوى حيات، ونحن لا نطيع الله بل نعيش في العصيان الذي دخل إلينا بواسطة الحية. وأنا لا أستطيع أن أعرف كيف أبكى وأنوح على شقاوتنا هذه كما تستحق ولا أعرف كيف أصرخ بصوت

عال باكيًا أمام الله الذي يستطيع وحده أن ينزع منى الخطأ المزروع في. "كيف أرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة" (مز 4:137)، كيف أنوح على أورشليم؟ وكيف أهرب من عبودية فرعون القاسية؟ وكيف أهجر مكان الإقامة الدنس؟ وكيف أستطيع أن أنكر أو أجمد الطغيان المُر؟ وكيف أستطيع أن أخرج من أرض مصر؟

وكيف أستطيع أن أعبر البحر الأحمر؟ وأسير في وسط البرية الكبرى؟ وكيف أنجو من الهلاك بلدغات الحيات؟ وكيف أهزم الغرباء؟ وكيف أحكم الأمم الذين في داخلي تمامًا[1]، وكيف أتقبل أقوال الشريعة الإلهية على ألواح قلبي؟ وكيف أرى عمود النور الحقيقي والسحاب الناشئ من الروح القدس؟ وكيف أتنعم بمَنّ البهجة الأبدية؟ وكيف أشرب الماء من الصخرة المعطية الحياة؟ كيف أعبر الأردن وأدخل إلى أرض الموعد الجيدة؟ وكيف أعاين رئيس جند الرب الذي حينما رآه يشوع بن نون، خر في الحال ساجدًا؟.

ضرورة العبور والدخول إلى الراحة :

7ـ لأنني إن لم أعبر بكل هذه وأحطم الأمم الذين يعيشون في داخلي فإنني لن أستطيع أن أدخل إلى "أقداس الله" وأستريح (مز 17:73). "ولا أصير شريكًا في مجد الملك".

لذلك أسع بكل اجتهاد لتكون ابنًا لله بلا لوم، وأن " تدخل في تلك الراحة" (عب11:4)، حيث دخل المسيح كسابق لأجلنا (عب20:6).

اجتهد أن يكون أسمك مكتوبًا في " الكنيسة التي في السماء مع الأبكار" (عب23:12)، لكى توجد عن " يمين العظمة في الأعالى" (عب 3:1). أسع أن تدخل إلى المدينة المقدسة، أورشليم مدينة السلام، التي هي فوق، فوق الكل، حيث يوجد الفردوس. فلا يوجد أمامك طريق آخر للدخول إلى هذه الأمجاد العجيبة السعيدة سوى أن تسكب الدموع نهارًا وليلاً مثل ذلك الذي قال "كل ليلة أعوم سريري وبدموعي أبل فراشي" (مز6:6). وأنت تعرف جيدًا أن " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج" (مز6:126).

لهذا السبب فإن النبى يقول بكل صراحة " لا تسكت عن دموعي" (مز12:39). وأيضًا " أجعل دموعي أمام عينك كما وعدت"(مز8:56). وأيضًا " دموعي صارت لي خبزًا نهارًا وليلاً" (مز3:42). وفي مزمور آخر " مزجت شرابي بدموعي" (مز9:102).

قوة الدموع:

8 ـ لأن الدموع التي تُسكب حقًا من حزن كثير وكآبة قلب وبمعرفة للحق واحتراق في الداخل، إنما هي طعام للنفس يأتيها من الخبز السماوي الذي سبقت مريم وأخذت منه حينما جلست عند قدمي الرب وبكت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه. فإنه قال: " لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها" (لو42:10).

فما أثمن تلك الدرر، التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة! ويا لتلك الاستجابة الفورية والإنصات المستمر! وأي عقل قوى حكيم! ويا لشدة روح الرب، التي تتحرك بقوة نحو عريس بلا عيب! وأي رغبة شديدة وشوق في النفس إلى الله الكلمة! وأي شركة حميمة للعروس مع العريس السماوي!.

النار الإلهية :

9 ـ فتمثل بها إذن يا ابني ، اقتد بتلك التي ثبتت عينيها عليه وحده، ذلك الذي قال " جئت لألقى نارًا على الأرض فماذا أريد لو اضطرامت" (لو49:12).

فهناك اشتعال للروح، هو الذي يُشعل القلوب نارًا. فإن النار الإلهية غير المادية لها فاعلية لإنارة النفوس وتمحيصها كما يُمتحن الذهب النقي بنار البوتقة. ولكنها (النار الإلهية) تحرق كل شر مثل الأشواك والقيود " لأن إلهنا نارًا آكلة" (عب29:12) " معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله، في نار لهيب، وللذين لا يطيعون إنجيله" (2تس 8:1).

وهذه النار هي التي عملت في الرسل حينما تكلموا بألسنة نارية (أع25:2). هذه النار هي التي أحاطت ببولس، بالصوت الذي أنار عقله ولكنها أعمت بصره (أع3:9). فلم تكن رؤيته لقوة ذلك النور بدون الجسد. هذه النار ظهرت لموسى في العليقة، وهذه النار، في شكل مركبة هي التي اختطفت إيليا من الأرض (2مل11:4). وداود المبارك كان يطلب فاعلية هذه النار حينما قال "امتحنى يارب، جربني محص كليتى وقلبى" (مز2:26).

10 ـ هذه النار هي التي ألهبت قلب كليوباس ورفيقه حينما تكلم المخلص معهما بعد القيامة. والملائكة والأرواح الخادمة تأخذ من لمعان هذه النار كما هو مكتوب " الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا ملتهبة" (عب7:1). وهذه النار هي التي تحرق الخشبة التي في العين الداخلية، لتجعل العقل نقيًا، حتى إذا استرد قوة رؤيته الطبيعية ، يمكنه أن يتفرس بلا انقطاع في عجائب الله كما هو مكتوب " افتح عيني، لكى أبصر عجائب من شريعتك" (مز18:119).

هذه النار أيضًا تطرد الشياطين، وتنزع الخطايا، ولها قوة القيامة، وفاعلية قوة الخلود، وهي نور النفوس المقدسة، وسند القوات العاقلة.

فلنصلِ ولنتوسل أن تأتى إلينا أيضًا هذه النار، حتى بسيرنا دائمًا في النور، فإننا " لا تعثر بحجر أقدامنا" (مز12:91) ولا إلى لحظة واحدة، بل " نضئ كأنوار في العالم" " ممسكين بكلمة الحياة الأبدية" (في15:2)، حتى إذا تنعمنا بخيرات الله بين قديسيه، فإننا نجد راحة مع الرب في الحياة، ممجدين الآب والابن والروح القدس الذي له المجد إلى الأبد. أمين.

---

[1] يقصد الشعوب الوثنية وعبادة الأصنام الأهواء الشرير

العظة السادسة والعشرون

كرامة النفس ـ تجارب الشر والانتصار

كرامة وقيمة وقوة وفاعلية النفس الخالدة، وكيف تُجرب بواسطة الشيطان، وكيف تحصل على الحرية من التجارب.

وتحتوى العظة أيضًا على بعض أسئلة مملوءة بتعاليم هامة.

كرامة النفس البشرية :

1ـ أيها الحبيب، لا تستخف بالطبيعة العقلية للنفس البشرية. فالنفس الخالدة هي مثل إناء غالى الثمن، فانظر مقدار عظمة السموات والأرض، ومع ذلك فإن الله لم يُسرّ بها بل وجد مسرّته فيك أنت فاعتبر كرامتك وسموك، حيث إن الرب قد أتى لأجل حمايتك وخلاصك بنفسه وليس بواسطة ملائكة وذلك لكى يناديك ويدركك أنت، أنت الذي قد ضعت وضللت، أنت الذي جُرحت، وذلك لكى يعيدك إلى حالة وشكل آدم النقي الذي خُلق عليه أولاً.

لأن الإنسان كان سيدًا على السموات والأرض، وقادرًا أن يميّز الأهواء، وكان غريبًا تمامًا عن الشياطين، وجُرح ومات. وأظلم الشيطان عقله. فهو هكذا من ناحية معينة، ومن ناحية أخرى هو لا يزال يحيا ويميز ويملك الإرادة.

استئصال الخطية :

2ـ سؤال: أليس صحيحًا أن الشهوة الطبيعية تُستأصل مع الخطية بحلول الروح القدس؟

الجواب: فقد سبق أن قلت إن الخطية تُستأصل والإنسان يسترجع ثانية شكل آدم الأصلي في طهارته. وفي الحقيقة، فإن الإنسان بقوة الروح والتجديد الروحاني لا يصل فقط إلى قياس آدم الأول، بل يصير في حالة أعظم منه لأنه يصير شريكًا للطبيعة الإلهية.

حدود حرب الشيطان:

3ـ سؤال: هل الشيطان يحارب ضدنا كما يشاء أم أن له حرية محدودة في محاربتنا ؟

الجواب: إن الشيطان يهاجم ليس المسيحيين فقط بل وعابدي الأصنام والعالم كله، فلو كان مسموحًا له أن يحارب كما يشاء لكان أهلك جميع البشر وحطّم كل شيء. ولماذا هكذا؟ لأن هذه هي غايته وشهوته. وكما أن الخزّاف يضع أوعيته في النار ويحمّى الفرن تدريجيًا وليس بما يفوق الحد اللازم لئلا تنشق الأواني، وأيضا ليس بأقل من الحد اللازم لئلا تصير الأواني نيئة وغير نافعة للاستعمال، وكما أن الصائغ أو الجواهرجي يسلّط النار بقدر محسوب،

لأنه إذا زادت النار عن اللازم يسيل الذهب والفضة ويصيران كالماء ويتلفان، وإذا كان عقل الإنسان يعرف كيف يقيس الأحمال المناسبة لدابته سواء كان جملاً أو غيره من الحيوانات بحسب قدرة كل حيوان على الحمل، فكم بالحري جدًا يفعل الله الذي يعرف قدر احتمال الناس لا يسمح للقوة المعادية أن تحارب كل إنسان إلاّ بقدر احتماله وسعته.

4 ـ كما أن الأرض رغم أنها واحدة، ومع ذلك فهناك أجزاء فيها صخرية وأجزاء أخرى سهلة وخصبة، وأجزاء مناسبة لزراعة الكروم وغيرها لزراعة القمح والشعير، هكذا أيضًا حقول القلوب البشرية والمشيئات تختلف من واحد إلى آخر. وهكذا أيضًا مواهب النعمة التي من فوق تُوزع بتنوع واختلاف. فلواحد تُعطى موهبة الكرازة بالكلمة، ولآخر موهبة التمييز ولثالث مواهب الشفاء (1كو 9:12).

فإن الله يعرف طاقة كل إنسان في تحقيق وكالته، وهكذا أيضًا على حسب ذلك يوزع مواهبه المتنوعة. وبطريقة مشابهة أيضًا فيما يخص الحرب الداخلية يسمح لقوة العدو بمحاربة كل واحد على قدر طاقته في تقبل ومواجهة حرب الشرير.

النعمة والطبيعة الشخصية :

5 ـ سؤال: حينما ينال إنسان القوة الإلهية ويتغير بها نوعًا ما، هل يظل في الطبيعة التي كانت له قبلاً؟

الجواب: لكى ما تُمتحن الإرادة، بعد نوال النعمة لكى يظهر ميلها وموافقتها، فإن الطبيعة تظل كما كانت قبلاً: فالذي كان شديدًا يبقى على شدته، والرقيق على رقته. ولكن يحدث أحيانًا أن إنسانًا غير متعلّم يُولد ثانيةً روحيًا ويتحول إلى إنسان حكيم وتُعلن له الأسرار الخفية، ومع ذلك يظل على طبيعته كإنسان غير متعلم. وآخر قد يكون شديدًا بطبيعته ولكنه يُسلّم نفسه وإرادته لخدمة الله فيقبله الله رغم أن طبيعته تبقى على شدتها، ومع ذلك يُسرّ الله به.

وإنسان آخر يكون رقيقًا في عاداته ولطيفًا وصالحًا، ويعطى نفسه لله ويقبله الله ولكن إن لم يثبت في الصلاح فإن الله لا يُسرّ به لأن طبيعة البشر كلها قابلة للتغير إلى الخير أو إلى الشر، وهي قادرة على فعل الشر إذا أرادت ، ولكن إذا أرادت أيضًا فلها القوة ألاّ تتمّم الشر فعلاً.

6 ـ ومثل الكتابة على الورق، فإنك تكتب شيئًا ربما لم تقصده ولذلك تمحوه ثانيةً. فالورق يتقبل أى نوع من الكتابة، هكذا الإنسان القاسي أو الشديد الذي يعطى ذاته لله فيقبله، فإنه يتحوّل إلى ما هو صالح. لأن الله يقبل الناس من كل الأنواع ومن كل الاتجاهات، لكى يُظهر رحمته.

والرسل حينما كانوا يأتون إلى مدينة ويمكثون فيها بعض الوقت فإنهم كانوا يشفون بعضًا من المرضى والبعض الأخر لا يشفون. والرسل من ناحيتهم يرغبون أن يعطوا الحياة لكل الموتى، والشفاء لكل المرضى. لكن لم يكن لهم ما أرادوا: فلم يكن مسموحًا لهم أن يفعلوا ما يشاءون. وبنفس الطريقة حينما أمسك والى الحارث، بولس الرسول فإن النعمة التي كانت مع الرسول كان يمكن لو أرادت أن تجعل الوالي وسور المدينة كلاهما يسقطان، حيث إن بولس كان إنسانًا مؤيدًا بالروح القدس، ولكن الرسول تدّلى في زنبيل (2كو32:11).

فأين كانت إذن القوة الإلهية المصاحبة له؟.. إن هذه الأشياء حدثت بتدبير العناية، وفي بعض الأمور كان الرسل يصنعون الآيات والعجائب، وفي حالات أخرى كانوا بلا قوة لكى يظهر الفرق بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون، ولكي تُمتحن وتظهر حرية الإرادة، وهل سيعثر البعض عندما يرون أنهم (أى الرسل) ضعفاء. فلو كان الرسل قد فعلوا كل ما شاءوا في كل شيء لكانوا قد أتوا بالناس إلى خدمة الله بالقوة الجبرية، ولا يكون الأمر حينئذ مسألة إيمان أو عدم إيمان. المسيحية هي " حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو33:9).

7 ـ وأيضًا ما كُتب عن أيوب ليس بدون معنى، إذ يتضح من الكتاب أن الشيطان طلبه وسعى إليه. فإن الشيطان لا يستطيع أن يعمل شيئًا من ذاته بدون إذن من الله. وماذا يقول الشيطان للرب، "سلمه ليدي فإنه في وجهك سيجدف عليك" (أيوب12:1 سبعينية). ولا يزال أيوب كما هو، وهكذا الله أيضًا وكذلك الشيطان. فبقدر ذلك يطلبه الشيطان ويقول للرب "إنما هو يخدمك لأنك تساعده وتحميه وتعينه، ولكن أبسط يدك الآن وسلمه لي فإنه في وجهك يجدف عليك".

وباختصار، بسبب أن الشخص يكون حاصلاً على العزاء بالنعمة، فإن النعمة تنسحب قليلاً حتى يمكن أن يُسلم للتجارب، ويأتي الشيطان ويحضر معه آلاف من الشرور كتجارب للإنسان مثل: اليأس والارتداد والأفكار الرديئة ليعذب بها النفس لكى يضعفها ويفصلها عن الرجاء في الرب.

8 ـ ولكن الشخص الحكيم لا ييأس أبدًا في وسط التجارب والشرور، بل يتعلق بمن هو مُمسك به، ومهما أثار الشيطان ضده من حروب فإنه يصبر في وسط التجارب التي لا تُحصى قائلاً " إني ولو مت فلا أطلق الرب وأتركه". وحينئذ فإذا صَبِرَ الإنسان إلى النهاية فإن الرب يحاور الشيطان قائلاً: " انظر كم من الشرور والمصائب جلبت عليه ومع ذلك فلم يُنصت إليك بل هو يخدمني ويتقيني".

فحينئذٍ ينغلب الشيطان من الخزي ولا يكون له شيء أكثر ليقوله. وفي حالة أيوب، لو كان الشيطان قد علّم أن أيوب سيظل ثابتًا في وسط التجارب ولن ينهزم لما كان قد طلبه، وذلك ليتحاشى الخزي الذي أصابه. وهكذا الآن أيضًا في حالة أولئك الذين يحتملون الشدائد والتجارب، فإن الشيطان يخزى ويندم لرجوعه خائبًا. والرب يقول له "انظر ها أنا قد أعطيتك الإذن وسمحت لك أن تجربه، فهل استطعت أن تفعل به شيئًا؟ وهل سمع لك في أى شيء؟".

الشيطان معرفته محدودة بأفكار الإنسان :

9ـ سؤال: هل يعرف الشيطان كل أفكار الإنسان ومقاصده ؟

جواب: إذا كان إنسان يرافق إنسانًا آخر، فإنه يعرف عنه كل ما يختص به. وإن كنت أنت الذي لك من العمر عشرون سنة، تعرف الأمور الخاصة بجارك، أفلا يستطيع الشيطان الذي يحتك بك منذ ولادتك أن يعرف أفكارك؟ فإن عمر الشيطان الآن ستة آلاف سنة. ومع ذلك فنحن لا نقول إنه يعرف ما ينوى أن يفعله الإنسان قبل أن يجربه؟ فالمجرب يبدأ بالتجربة ولكنه لا يعرف إن كان الإنسان سيطيعه أم لا إلى أن يأتي الوقت الذي فيه يُسلّم الإنسان إرادته للشيطان ليستعبده.

كما أنني لا أقول إن الشيطان يعرف كل أفكار واختراعات قلب الإنسان. فكما أن الشجرة لها فروع وأغصان كثيرة، هكذا النفس أيضًا لها فروع كثيرة من الأفكار، والشيطان يعرف بعض هذه الفروع، ولكن هناك أفكار ومقاصد أخرى لا يدركها الشيطان ولا يمسكها.

الالتجاء إلى الله بالإيمان والمحبة يهزم الشيطان :

10ـ فقد يحدث في أمر معيّن أن جانب الشر يكون أقوى في الأفكار التي داخلنا ولكن في أمر آخر ينتصر فكر الإنسان ويكون أقوى من الشر إذ ينال عونًا وفداءً من الله فيقاوم الشر ويمقته. إذن فإنه ينغلب في

أمر وفي أمر آخر ينتصر. فإنه أحيانًا يأتي إلى الله بحرارة، والشيطان يعرف هذا ويرى ذلك الإنسان ينفر منه ويقاومه، وأنه ـ أى الشيطان ـ عاجز أمامه. وما السبب في ذلك؟ السبب أن الإنسان له الإرادة والرغبة أن يصرخ إلى الله، وتوجد عنده الثمار الطبيعية لمحبة الله، ثمار الايمان بالله، وطلب المجيء إليه.

ففي أمور العالم الخارجية التي حولنا، فإن الفلاح يُفلّح الأرض، ولكنه بالرغم من تفليحه لها، فإنه يحتاج إلى وابل من الأمطار من فوق. فإن لم يأت المطر من فوق فلا ينتفع الفلاح شيئًا من تفليحه الأرض. هكذا الأمر أيضًا في العالم الروحي. فإن هناك عاملان يؤخذان في الاعتبار. فأولاً، من الضروري أن يُفلّح الإنسان أرض قلبه بحريته واختياره وتعبه ـ فإن الله يريد أن يبذل الإنسان كل جهده ويتعب ولا يتكاسل ـ ولكن إن لم تظهر السحب السماوية وأمطار النعمة من فوق فإن الفلاح الروحاني لا ينتفع شيئًا من جهده وتعبه.

علامة المسيحية :

11ـ هذه هي علامة المسيحية إنه مهما فعل الإنسان وتعب ومهما عمل أعمال برّ، فإنه يشعر أنه لم يفعل شيئًا. وحينما يصوم فإنه يشعر في نفسه كأنه لم يَصم. وحينما يصلى يقول في نفسه "هذه ليست صلاة". وعندما يثابر في الصلاة يشعر أنه لم يثابر بعد بل يقول لنفسه "إنني فقط بدأت أن أمارس المثابرة والتعب"، وحتى إذا كان بارًا أمام الله فينبغي أن يقول "أنا لست بارًا، أنا لست عاملاً، ولكنى فقط ابتدئ في كل يوم".

وينبغي أن يكون عنده الرجاء والفرح كل يوم وانتظار الملكوت التي والفداء الكامل، وان يقول " إن لم أكن قد افتُديت (تحررت) اليوم فإنني سأُفتدى غدًا". ومثل الإنسان الذي يزرع كرمًا، فإن عنده فرح ورجاء في نفسه قبل أن يبدأ الزرع، إذ هو يتصور الكرم في عقله ويحسب الربح الناتج منه أيضًا، قبل أن يثمر الكرم، وهكذا فإنه يبتدئ بالتعب والجهد ـ لأن الرجاء والانتظار يجعلانه يجتهد بغيرة وحماس وينفق على الكرم لفترة طويلة من ماله.

وهكذا أيضًا الإنسان الذي يبنى بيتًا أو يزرع حقلاً فإنه يتكلف كثيرًا في البداية، ولكنه يفعل ذلك على رجاء الربح الذي سيحصل عليه.

وبنفس الطريقة في هذا الأمر الذي أمامنا. فإن لم يضع الإنسان أمام عينيه الفرح والرجاء قائلاً في نفسه: " إنني سأحصل على الفداء الكامل (التحرر) والحياة"، فإنه لا يستطيع أن يحتمل الشدائد أو الأثقال بصبر ولا يستطيع السير في الطريق الضيق. فإن وجود الرجاء والفرح في قلبه هما اللذان يجعلانه يتعب ويحتمل الشدائد وثقل السير في الطريق الضيق.

12 ـ ولكن كما أنه ليس من السهل خروج الميسم (سيخ حديد) من النار، هكذا فليس من السهل أن تهرب النفس من نار الموت إلاّ بتعب كثير. فكثيرًا ما يوحى الشيطان بأفكار مضلّة تحت ستار الأفكار الصالحة مثل " بهذه الطريقة يمكنك أن ترضى الله" فهو يوحى إلى الشخص ويقوده بمكر إلى أفكار خادعة

ولطيفة حسب مظهرها، وعندما لا يعرف الإنسان كيف يكتشف أو يميّز أنه مخدوع. فإنه يسقط في " فخ وهلاك إبليس" (1تى9:6، 7:3).

السلاح الفتاك :

إن أشد أسلحة المجاهد المسيحي فتكًا هي هذه: أن يحارب ضد الشيطان في أعماق قلبه، وأن يبغض نفسه، وينكر نفسه، وأن يغضب منها ويوبّخها، ويقاوم الشهوات التي تتحرك في داخله ويعارك مع أفكاره ويحارب ضد ذاته.

13 ـ فإذا كنت تحفظ جسدًا خارجيًا من الفساد والدنس ولكنك ترتكب الزنا والفسق في أفكارك فإنك زانٍ أمام الله ولا تنفعك عذراوية جسدك شيئًا. فإن كانت هناك امرأة شابة يحاول شاب أن يغريها ويخدعها حتى يفسدها بحيلته ومكره، فإنها بعد ذلك تصير مكروهة من زوجها لأنها صارت زانية.

هكذا أيضًا النفس الروحانية فإنها إذا عقدت شركة مع الحيّة المختفية في ثنايا القلب الداخلية، فإنها ترتكب الزنا مع الروح الخبيث ضد الله كما هو مكتوب " إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه" (مت28:5). فهناك زنى بالجسد، وهناك زنى آخر للنفس حينما تقيم شركة مع الشيطان. فالنفس إما أن تكون شريكة وقريبة للشياطين، أو لله والملائكة، فإن كانت تزنى مع الشيطان، فهي لا تليق بالعريس السماوى.

الحرب مستمرة ولكن الرب يحفظ من الذي :

14ـ سؤال: هل الشيطان يهدأ أحيانًا ويكون الإنسان حُرًا من الحروب؟ أم أن الحرب لا تكف عنه مادام حيًا في الجسد؟

جواب: إن الشيطان لا يهدأ أو يكف عن الحرب. ومادام الإنسان يحيا في هذا العالم ويلبس الجسد فهو مُعرّض للحرب. ولكن حين " تنطفئ سهام الشرير الملتهبة"(أف16:6) في ضرر يصيب الإنسان إذا أتى الشيطان بإيحاءاته؟ فالشخص الذي يكون صديقًا للملك، وتُرفع شكوى ضده من عدوه، فحيث إن الملك صديق له ويتمتع بفضل وإنعامات الملك، ويقدم له الملك المساندة والعون، فإنه لا يُصاب بأي ضرر. وحينما ينجح أى شخص في أن يعبر بكل الرتب والدرجات ويصير صديقًا للملك ، فلا يستطيع أحد أن يلحق به ضررًا. وفي هذا العالم المادي توجد بعض المدن التي تحصل على هبات وإنعامات من الإمبراطور. فحتى إذا قامت هذه المدن بالصرف على بعض الخدمات فإنها لن تخسر كثيرًا، حيث إنها تحصل على خيرات وافرة من الإمبراطور.

هكذا المسيحيون أيضًا، فحتى إذا كان العدو يحارب ضدهم فإنهم يحتمون في الله كحصنهم وقوتهم، وقد لبسوا القوة والراحة من الأعالي، ولا يبالون بالحرب التي تقوم ضدهم.

15 ـ وكما أن الرب لبس الجسد متخلّيًا عن كل رئاسة وقوة، كذلك المسيحيون يلبسون الروح القدس ويصيرون في سلام. فحتى إذا أتت الحرب من الخارج وبدأ الشيطان هجومه، فإنهم يتقوون داخليًا بقوة الرب ولا يقلقون من الشيطان.

فالشيطان جرّب الرب في البرية أربعين يومًا ولم يصبه بأي ضرر باقترابه من جسده أو من الداخل إذ كان هو الله. هكذا المسيحيون، رغم أنهم يُجرّبون من الخارج فإنهم من الداخل مملؤون بالله ولا يصيبهم أى أذى. ولكن من يصل إلى هذه المقاييس، فإنه يكون قد وصل إلى محبة المسيح الكاملة، وإلى ملء اللاهوت. وأما من لم يكن هكذا فإنه لا يزال يعانى من الحرب في داخله.

فإنه في ساعة معينة يبتهج ويفرح في الصلاة ولكنه في ساعة أخرى يكون في شدة وفي حرب. وهذه هي إرادة الرب. فلأن مثل هذا الشخص لا يزال طفلاً، فإن الرب يدرّبه في الحروب، ومن داخله تنبع كلاً من أفكار النور والظلمة، والسلام والشدة، ومثل هؤلاء الأشخاص يصلون في سلام في بعض الأوقات وفي أوقات أخرى يكونون في ضيق وقلق.

16ـ ألاّ تسمع ما يقوله الرسول بولس؟ " إن كان لي كل المواهب، وإن سلّمت جسدي حتى احترق، وإن كنت أتكلم بألسنة الملائكة، وليس لى محبة فلست شيئًا" (1كو13:1ـ3). فهذه المواهب هي فقط لأجل حثنا وتحريضنا. وأولئك الذين يكتفون بها فإنهم لا يزالون أطفالاً رغم أنهم في النور.

فكثيرون من الأخوة قد وصلوا إلى هذه الدرجات وحصلوا على مواهب الشفاء، والإعلانات والنبوة ، ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة التي هي " رباط الكمال" (كو3:18) فإن الحرب تثور ضدهم، ولأنهم لا يحترسون فإنهم يسقطون. ولكن الشخص الذي يصل إلى المحبة الكاملة فإنه يُحاصر بالنعمة ويصير أسيرًا لها.

أما الذي يقترب قليلاً من هذه الدرجة ـ درجة المحبة الكاملة ـ ولكنه لا يُربط بالحب تمامًا ويُقيّد به، فمثل هذا الشخص لا يزال مُعرّضًا للخوف والحروب واحتمال السقوط، وإذا لم يحترس لنفسه فإن الشيطان يلقيه صريعًا على الأرض.

أسباب السقوط :

17 ـ وبهذه الطريقة فإن كثيرين أخطأوا بعد أن حصلوا على النعمة. ظنوا أنهم قد حصلوا على الكمال وقالوا " هذا يكفي، إننا لا نحتاج إلى أكثر من ذلك". ولكن الرب ليس له نهاية، ولا يمكن إدراكه بصورة كاملة ولا يجرؤ المسيحيون أن يقولوا "لقد أدركنا" الله (في3:13)، ولكنهم يظلون يسعون ـ بتواضع ـ ليلاً ونهارًا. وفي أمور هذا العالم نجد أنه ليس هناك نهاية للتعلّم، وأكثر الناس إدراكًا لهذه الحقيقة هو الشخص الذي حصل على درجة كبيرة من العلم والمعرفة. هكذا أيضًا في هذا الأمر الذي نتحدث عنه،

فالله لا يمكن قياسه أو إدراكه إلاّ بواسطة أولئك الذين قد بدأوا يتذوقونه، أولئك الذين قبلوه شخصيًا، ويعترفون بضعفهم وعجزهم. فإذا ذهب إنسان له بعض العلم إلى قرية حيث الناس غير متعلّمين فإنهم يعجبون به، لأنهم

جهلاء تمامًا فإنهم يمدحونه كأحد العلماء. ولكن إذا ذهب نفس هذا الشخص بعلمه القليل إلى مدينة حيث العلماء والخطباء فإنه لا يجسر أن يظهر بينهم أو يتكلم لأن العلماء الحقيقيون يحسبونه جاهلاً.

حالة الذي ينتقل أثناء الحرب الروحية :

18ـ سؤال: إذا فرضنا أن إنسانًا لا يزال في حرب داخلية ولا يزال يوجد في نفسه كلاً من الخطية والنعمة، فإذا انتقل من هذا العالم إلى أين يذهب، حيث إنه يميل نحو كل من الخطية والنعمة.

جواب: إنه يذهب إلى حيث يميل قلبه وإلى حيث يوجد حبه. وما عليك إذا أتت عليك الشدة والحرب إلاّ أن تقاومها وتبغضها. لأن مجئ الحرب عليك هذا ليس من صنعك. ولكن أن تبغض الحرب فهذا أمر متوقف عليك.

وحينئذ إذ ينظر الرب إلى قلبك ويرى أنك تجاهد وأنك تحبه بكل نفسك، فإنه يطرد الموت عن نفسك في وقت قصير جدًا. فإن هذا ليس صعبًا عليه، ثم يأخذك إلى حضنه وإلى نوره. وفي لحظة من الزمان ينتشلك من فم الظلمة وينقلك في الحال إلى ملكوته. فمن اليسير على الله أن يفعل كل الأشياء في لحظة من الزمان، إن كنت فقط تضع حبك فيه. إن الله يريد عمل الإنسان. لأن النفس البشرية خُلقت لتكون لها شركة مع اللاهوت.

19 ـ وقد سبق أن تكلّمت كثيرًا عن مَثَل الفلاح الذي يتعب ويلقى البذار في الأرض وكيف أنه ينبغي أن ينتظر المطر من فوق. فإن لم تظهر السحب وتهب الرياح فلا فائدة من تعب الفلاح. فإن البذار تبقى عارية. والآن نطبق هذا على الوضع الروحي، فالإنسان الذي يعتمد فقط على مجهوداته الخاصة ولا ينال ما هو خارج عن طبيعته البشرية فإنه لا يستطيع أن يقدّم للرب ثمارًا تليق به.

والآن ما هو العمل المطلوب من الإنسان، هل أن يتجرد من العالم ويتركه، وأن يثابر على الصلاة ويسهر، وأن يحب الله والاخوة؟. هذه هي المجالات المطلوب من الإنسان أن يعمل ويثابر فيها. ولكنه إن استند على عمله هذا واكتفي به ولم يترجى أن ينال العطية الأخرى، التي هي رياح الروح القدس، فإن عدم هبوب رياح الروح على نفسه، بسبب عدم ظهور السحب السماوية، وعدم نزول المطر من السماء ليرطب نفسه، فإن الإنسان لا يستطيع أن يقدم للرب الثمار التي تليق به (بالرب).

20 ـ إنه مكتوب إن الكرام حينما يرى الغصن يأتي بثمر " ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (يو15:2) وأما الغصن الذي لا يأتي بثمر فإنه ينزعه ويسلّمه للحريق. وفي الحقيقة يليق بالإنسان إذا صام أو سهر الليالي أو صلى أو عمل أى شيء من الصلاح، أن ينسب كل شيء للرب ويقول: " لو لم أنل القوة من الله لما كنت قد استطعت أن أصوم أو أصلى أو أتجرد من العالم".

وبهذه الطريقة فإذ يرى الله قصدك، أنك تنسب كل ما تعمله إليه، فإنه ينعم عليك بما هو ليس من ذاتك أو من طبيعتك ـ أى بما هو روحاني وإلهي وسماوي. وما أعنيه هو ثمار الروح والفرح والسعادة.

الثمار الطبيعية والثمار الروحانية :

21ـ سؤال: ولكن حيث إن الثمار الطبيعية هي المحبة والإيمان والصلاة، فما هو الفرق بين هذه الثمار الطبيعية والثمار الروحانية؟

جواب: الأشياء التي تعملها من نفسك هي حسنة ومقبولة أمام الله، ولكنها ليست نقية تمامًا فمثلاً: أنت تحب الله، ولكنك لا تحبه محبة كاملة. فحينما يأتي الرب إلى داخلك فإنه يعطيك محبة سماوية غير متغيرة. أو أنت تصلى ولكن صلاتك مُصابة بتشتيت الأفكار والقلق. وحينما يأتي الرب إليك فإنه يعطيك الصلاة النقية " بالروح والحق" (يو4:23) وإننا نجد في العالم المادي، أن التربة غالبًا ما تُخرج أشواكًا من نفسها.

والفلاح يحفر ويصلح الأرض بعناية ويضع فيها البذار، ولكن الأشواك التي لم يزرعها أحد تنبت وتتكاثر. إذ أنه بعد سقوط آدم قيل له " شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض" (تك3:18). ومرة ثانية يتعب الفلاح في الأرض ويقتلع الأشواك ولكنها مع ذلك لا تزال تتكاثر. وإذا طبقنا هذا تطبيقًا روحيًا نجد أنه منذ سقوط الإنسان صارت تربة القلب البشرى تنبت شوكًا وحسكًا. والإنسان يعمل ويتعب، ومع ذلك تنبت فيها أشواك الخطية، إلى أن يأتي الروح القدس نفسه " ويعين ضعفات الإنسان" (رو8:26).

ويزرع الرب الزرع السماوي في تربة القلب ويفلحها. ولكن برغم ذلك، لا يزال الحسك والشوك ينبتان ثانية. ثم يعمل الرب والإنسان معًا في أرض النفس ولا تزال أشواك وأرواح الشر تنبت وتنمو هناك حتى يأتي وقت الصيف والحرارة الشديدة حين تتفاضل وتتزايد النعمة فتجف الأشواك وتذبل من حرارة الشمس.

النعمة المتفاضلة تلغى سلطان الخطية :

22ـ فرغم أن الشر موجود في الطبيعة البشرية (بعد نوال النعمة) ولكنه لم يعد له السلطان أن يسود عليها كما كان سابقًا. فرغم أن الزوان يمكن أن يخنق نبات القمح في بداية نموه ولكن حينما يأتي الصيف وتنضج حبوب القمح فإن الزوان لا يكون له أى ضرر على القمح بعد ذلك. فإذا وضعت ربع مكيال[1] من الزوان في ثلاثين مكيال من القمح النقي واختلطت معها في تأثير يكون للزوان. فإن كمية القمح الكبيرة تطغى بسبب وفرتها على الزوان القليل.

هكذا أيضًا في مجال النعمة، فحينما تتفاضل عطية الله وتفيض نعمته في الإنسان فيصير غنيًا بالرب، فحتى إذا كانت الخطية حاضرة فيه إلى درجة ما، فإنها لا تستطيع أن تؤذيه ولا يكون لها سلطان أو قوة عليه. وهذا هو الهدف من مجيء الرب وعنايته بالإنسان ـ هو أن يطلق الذين كانوا أسرى للخطية ومستعبدين لها، ويجعلهم أحرارًا وغالبين للموت والخطية. لذلك فلا ينبغي أن يستغرب الاخوة إذا أصابتهم ضيقات وشدائد من الناس فهذا يساعد على تخليصهم وتحريرهم من الخطية.

23ـ كان موسى وهرون اللذان أُعطيا الكهنوت في العهد القديم، يتحملان شدائد كثيرة، أما قيافا حينما جلس في كرسيهما اضطهد الرب وحكم عليه. والرب سمح بأن يتم هذا احترامًا للكهنوت. وبالمثل فإن الأنبياء قد اضُطهدوا من أمتهم وشعبهم.

وفي كنيسة العهد الجديد خلف بطرس، موسى، واستأمنه المسيح على كنيسته الجديدة والكهنوت الحقيقي. لأن المعمودية الآن هي معمودية النار والروح القدس. وقد أُعطينا ختانًا في القلب. لأن الروح الإلهي السماوي يسكن في داخل العقل.

ومع ذلك فحتى أولئك الكاملين ليسوا أحرارًا من القلق تمامًا ماداموا في الجسد، وذلك بسبب حرية إرادتهم، ولذلك يتعرضون للخوف. ولهذا السبب عينه يُسمح لهم بأن يُجربوا. ولكن حينما يصل الإنسان إلى مدينة القديسين، فإنه حينئذ يستطيع أن يحيا بدون اضطراب وبدون تجارب. وهناك لا يوجد حزن أو اضطراب أو تعب أو شيخوخة أو شيطان أو حرب، بل هناك راحة وفرح وسلام وخلاص.

والرب موجود في وسطهم وهو مخلصهم لأنه هو الذي أطلق المأسورين أحرارًا. وهو يُدعى الطبيب لأنه معطى الدواء السماوي الإلهي. ويشفي آلام وأهواء النفس التي تكون من بعض الوجوه متسلطة على الإنسان. وبالاختصار فإن يسوع هو الملك والله، أما الشيطان فهو طاغية ورئيس الشر.

النفس لها الاختيار بين الله والشيطان :

24 ـ ولنقل ببساطة، إن الله وملائكته يرغبون أن يجعلوا هذا الإنسان واحدًا معهم ليكون معهم في ملكوت الله، والشيطان أيضًا وملائكته يرغبون أن يضموا الإنسان إليهم ليكون معهم. والنفس موجودة في الوسط بين هذين الكيانين ـ والجانب الذي تميل إليه إرادتها فإنها تصير ملكًا له وابنًا له. فكما يحدث من الأب الذي يرسل ابنه إلى أرض غريبة، حيث توجد وحوش كاسرة وحيات سامة في الطريق، فإنه يعطيه أدوية وعلاجات يجهزه بها حتى إذا قابلته الوحوش أو التنانين لتهاجمه فإنه يستطيع أن يستعمل الأدوية ليقتلها.

الدواء السماوي والقلب النقي :

فاجتهدوا أنتم أيضًا في الحصول على الدواء السماوي الذي هو شفي النفس وواقيها، لكى بواسطته تستطيعون أن تقتلوا الوحوش السامة ـ وحوش الأرواح النجسة. فبالحقيقة أنه ليس من السهل الحصول على قلب نقى إلاّ بتعب وجهد كثير. فإنه بذلك يحصل الإنسان على ضمير نقى وقلب طاهر وينتزع منه الشر كله.

25 ـ فإنه يحدث أحيانًا أن تأتى النعمة إلى إنسان ومع ذلك لا يكون قلبه نقيًا تمامًا. وهذا هو السبب الذي يجعل كثيرين يسقطون، فإنهم يسقطون لأنهم لا يصدقون أنهم بعد نوالهم النعمة لا يزال فيهم دخان وخطية، تستطيع أن تؤثر عليهم.

وأما جميع الأبرار فإنهم أرضوا الرب إذ ساروا في الطريق الضيق الكرب وساروا فيه إلى النهاية.

فإبراهيم رغم أنه كان غنيًا من جهة الله ومن جهة العالم إلاّ انه اعتبر نفسه " تراب ورماد" (تك27:18) وداود يقول إنه " عار عند البشر ومُحتقر الشعب، أما أنا فدودة لا إنسان" (مز6:22). وبنفس الطريقة، فإن كل الأنبياء والرسل أُهينوا وشُتموا، والرب نفسه، الذي هو الطريق، وهو الإله، حينما جاء إلى العالم لأجلك وليس لأجل نفسه، ليكون مثالاً لك في كل ما هو صالح.

انظر إلى المسيح :

انظر، إلى أى تواضع صار ووضع نفسه " آخذًا صورة عبد" (في7:2)، وهو يعطى بنفسه أدوية شافية ويشفي كل المجروحين حينما ظهر من الخارج كأنه واحد من " المجروحين" (إش4:53،5).

26 ـ ولكن لا تحتقر مجده الإلهي حينما تراه من الخارج متواضعًا كواحد منا. فإنه من أجلنا ظهر هكذا وليس لأجل نفسه، تأمل جيدًا في تلك الساعة حينما كانت الجموع المزدحمة تصرخ " أصلبه أصلبه" (لو21:23) وكيف كان متواضعًا ومسحوقًا أكثر من جميع الناس. وكما يحدث في العالم حولنا فإن أى إنسان مجرم حينما يحكم عليه القاضى فإنه حينئذ يكون مكروهًا ومرذولاً من جميع الناس، هكذا كان الرب في ساعة الصليب وكإنسان محكوم عليه بالموت كان الفريسيون يعاملونه باحتقار شديد. وحينما بصقوا في وجهه ووضعوا إكليل الشوك على رأسه وضربوه في احتقارٍ وهوانٍ قد احتمله؟

لأنه مكتوب " بذلت ظهري للضاربين, وجهي لم أستر من العار والبصاق وخدي من اللطم" (إش6:50). فإن كان الله قد تنازل لاحتمال هذه الإهانات والآلام والتحقير، فكم بالحري أنت الذي بطبيعتك ترابي ومائت. فمهما احتُقرت فإنك لن تفعل أبدًا مثل سيدك ـ فإنه لأجلك وضع نفسه، أفلا تضع أنت ذاتك لأجل نفسك أم تظل متكبرًا ومنتفخًا. لقد أتى ليحمل على نفسه آلامك وأثقالك وخطاياك، وليعطيك راحته، ولكنك ترفض أن تحمل أية متاعب أو أن تتألم لكى تحصل على شفاء لجروحك. والمجد لصبره وطول أناته إلى الأبد آمين.

---

[1] (ربع) المكيال المقصود يساوى (1 على 8) من مكيال القمح فتكون نسبة الزوان إلى القمح 240:1.

العظة السابعة والعشرون

حالة النعمة وحرية الاختيار

هذه العظة كسابقتها تصف كرامة وحالة الإنسان المسيحي. ثم تعلّم أمورًا نافعة كثيرة عن حرية الإرادة مع بعض أسئلة مملوءة بحكمة إلهية.

كرامة الإنسان في المسيح :

1ـ اعرف أيها الإنسان سموك وكرامتك وشرفك عند الله، لكونك أخًا للمسيح، وصديقًا للملك، وعروسًا للعريس السماوى، لأن كل من استطاع أن يعرف كرامة نفسه، فإنه يستطيع أن يعرف قوة وأسرار اللاهوت. وبذلك يمكنه أن ينسحق ويتضع أكثر، ففي ضوء قوة الله يرى الإنسان خطورة حالته الساقطة. وكما أنه (المسيح) عبر الآلام والصليب قبل أن يتمجّد ويجلس عن يمين الآب، هكذا ينبغي لك أن تتألم معه، وتُصلب معه، وبذلك تصعد معه وتتحد بجسد المسيح، وتملك معه إلى الأبد في ذلك العالم، " إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رو17:8).

2 ـ لأن أولئك الذين يستطيعون أن يغلبوا ويجوزوا حصون الشر، فإنهم يدخلون إلى المدينة السماوية المملوءة بالسلام وأنواع الصالحات حيث " أرواح الأبرار" تجد راحة (عب23:12). لذلك ينبغي أن نكد ونتعب

كثيرًا من أجل ذلك. فإنه لا يليق أن العريس الذي أتى من أجلك ، يتألم ، بينما العروس التي جاء لأجلها العريس تعيش في بلادة وتكاسل هائمة في العالم. وكما أنه في الأمور العالمية تعطى الزانية نفسها لكل إنسان بدون تمييز في عهارة، هكذا النفس التي قد أعطت نفسها للشيطان حتى أفسدتها تلك الأرواح الشريرة. فإن البعض يخطئون ويفعلون الشر باختيارهم بينما البعض الآخر يخطئون رغمًا عنهم. فما معنى هذا؟ إن أولئك الذين يفعلون الشر باختيارهم هم الذين قد باعوا إرادتهم للشر، ويجدون لذتهم فيه ويعقدون معه صداقة. مثل هؤلاء هم متصالحون مع الشيطان ولا يحاربونه في أفكارهم. وأما أولئك الذين يفعلون الشر بدون إرادتهم فهؤلاء تحارب الخطية في أعضائهم (رو23:7). وقوة وحجاب الظلمة تحارب ضد إرادتهم وهم لا يتوافقون معها في أفكارهم، ولا يجدون لذتهم فيها، ولا يطيعونها بل يحاربون ضدها في القول والفعل. وهم يغضبون مع أنفسهم. فهؤلاء هم أسمى جدًا وأكرم في عيني الله من الذين يبيعون إرادتهم للشر ويفرحون به.

3 ـ فإذا افترضنا أن ملكًا وجد فتاة فقيرة تلبس خرقًا بالية، ولم يستنكف منها بل أخذها وجردها من ثيابها الرثة وغسلها من سوادها وزينها بملابس أنيقة مبهجة وجعلها شريكته وجليسته على مائدته، فهكذا الرب أيضًا قد وجد النفس مجروحة ومضروبة، وأعطاها الدواء وخلع عنها الثياب السوداء وأزال عنها عار الخطية وألبسها الملابس الملوكية السماوية أي ملابس اللاهوت اللامعة المجيدة. ووضع تاجًا على رأسها وجعلها شريكة مائدته الملوكية للفرح والبهجة. وكما في حالة الحديقة الجميلة حيث توجد أشجار مثمرة ويكون الهواء مُحملاً بالرائحة الزكية، وتوجد أماكن كثيرة جميلة ومُنعشة وذلك لبهجة وراحة أولئك الذين يذهبون إلى هناك، هكذا أيضًا تكون النفوس في الملكوت فإنها تكون جميعها في فرح وسعادة وسلام، ويكونون ملوكًا وأربابًا وآلهة. لأنه مكتوب " ملك الملوك ورب الأرباب" (1تي 15:6).

4 ـ فالديانة المسيحية ليست إذن شيئًا عاديًا، " هذا سر عظيم" (أف32:5)، لذلك فاعرف قدرتك وسموك لكونك دُعيت إلى الكرامة الملوكية "جنس مختار كهنوت ملوكي وأمة مقدسة" (1بط9:2)، لأن سر المسيحية هو غريب بالنسبة لهذا العالم. والمجد المنظور الذي للإمبراطور أو الملك وكل غناه، إنما هو أرضي وفاني ومضمحل وأما ذلك الملكوت وذلك الغنى السماوي فهو إلهي سماوي ومملوء مجدًا وهو لا يفنى ولا يضمحل لأن مثل هؤلاء المسيحيون يملكون مع الملك السماوي في الكنيسة السماوية " وهو البكر من الأموات" (كو18:1) وهم أيضًا أبكار، ولكن رغم أن هذه هي حالتهم وهم مختارون ومقبولون أمام الله، فإنهم يعتبرون أنفسهم أقل الكل وليس لهم أي استحقاق، وقد صار أمرًا طبيعيًا عندهم أن يعتبروا أنفسهم كلا شيء.

نفسي ليست ثمينة عندي :

5ـ سؤال: هل معنى ذلك أنهم لا يعرفون أنهم قد نالوا شيئًا زائدًا وأنهم قد حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً أي ما هو غريب عن طبيعتهم؟

جواب: ما أقوله هو إنهم لا يعتبرون أنفسهم مستحقين لمدح الله ورضاه، ويعتبرون أنهم لم يتقدموا ويرتقوا، وهم لا يعرفون كيف حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً. ولكن برغم كل ذلك فإن النعمة نفسها تأتي وتعلّمهم

أن لا يحسبوا " نفوسهم ثمينة عندهم" (أع 24:20) رغم أنهم قد نموا وتقدموا. بل وأن يحسبوا أنفسهم كأنهم من طبيعتهم لا قيمة لهم. ورغم أنهم مكرّمون وأعزاء عند الله ولكنهم ليسوا مكرّمون عند أنفسهم.

ورغم أنهم ينمون ويتقدمون في معرفة الله، فإنهم يكونون كأنهم لا يعرفون شيئًا ورغم كونهم أغنياء عند الله فإنهم يرون أنفسهم فقراء ـ وكما أن المسيح " أخذ صورة عبد" (في 7:2) وغلب الشيطان بالتواضع، هكذا فإنه في البداية سقط الإنسان عن طريق الكبرياء والمجد الباطل بخداع الحية، والآن فإن الحية نفسها التي تختبئ في القلوب البشرية تحاول أن تصرع وتهلك كثير من جنس المسيحيين عن طريق الكبرياء والمجد الباطل.

6 ـ وإذا كان إنسان حر وكريم المولد بحسب العالم وعنده غنى كثير، وهو مستمر في تنمية ثروته وزيادة دخله، فإن مثل هذا الإنسان يفقد اتزانه ويصير معتدًا بذاته واضعًا ثقته في ذاته. هذا الإنسان يصير غير محتمل، ويبتدئ يرفس الآخرين ويبطش بهم. هكذا يكون الحال أحيانًا مع بعض الأشخاص الذين ينقصهم التمييز، فإنهم بمجرد أن يبدأوا في تذوق الفرح والقوة في الصلاة، فإنهم يبتدأون أن ينتفخوا روحيًا، ويفقدون اتزانهم، ويبدأون في إدانة الآخرين ولذلك يسقطون إلى أسفل أعماق الأرض. وأن الحية نفسها التي طردت آدم من الفردوس عن طريق الكبرياء بقولها "ستكونان كالآلهة" (تك5:3)، لا تزال تلقى بأفكار الكبرياء في قلوب البشر قائلة لكل منهم " أنت كامل، إن عندك كثير وأنت غنى، ولا تحتاج شيئًا، إنك مغبوط وسعيد".

وهناك أشخاص آخرون أغنياء بحسب هذا العالم ومستمرون في تنمية ثرواتهم، ومع ذلك فإنهم يحفظون أنفسهم في حدود بعض البصيرة والتمييز ولا يفتخرون أو ينتفخون بل يظلون متزنين لأنهم يعرفون أن الوفرة والغنى يمكن أن يعقبها القلّة والشح. وأيضًا حينما تحدث لهم الخسارة والقحط فإنهم لا ييأسون بل يحفظون توازنهم عالمين أن الرخاء والوفرة ستعود مرة أخرى، وبكثرة تمرنهم في وقت الخسارة لا يندهشون ويتحيرون.

المسيحية تذوق عميق وأكل للحق باستمرار :

7ـ والمسيحية في حقيقتها هي تذوق عميق للحق، هي أكل وشرب للحق، أن تأكل وأن تشرب، وهكذا تستمر تأكل وتشرب لتنال القوة والفاعلية. وإذا افترضنا أن هناك عين ماء يأتي إليها شخص عطشان ويبدأ أن يشرب منها ولكن في أثناء شربه يأتي شخص آخر ويصده قبل أن يرتوي تمامًا كما يريد، فإن ذلك الإنسان العطشان يشتعل عطشًا أكثر إلى الماء، لأنه قد تذوق الماء ولذلك فإنه يطلبه بغيرة وجهد أكثر. هكذا أيضًا في المجال الروحاني فإن الإنسان يتذوق الطعام السماوي ويشترك فيه، ثم يأتي في أثناء ذلك ما يمنعه فلا ينال شبعه تمامًا.

8 ـ سؤال: ولماذا لا يُسمح له أن ينال شبعه الكامل ؟

جواب: إن الرب يعرف ضعف الإنسان، وأنه ينتفخ بسهولة، ولهذا السبب فإنه يحجز عنه الشبع ويسمح للإنسان بأن يُمتحن ويُجرّب. فإذا كنت تنال قليلاً من النعمة ومع ذلك تصير غير محتمل وتكون منتفخًا، فكيف يكون الحال لو أنك أُعطيت حتى الشبع مرة واحدة بدون أن يحجز عنك الشبع؟ ولكن الله إذ هو يعرف ضعفك تمامًا فإنه بعنايته يرتب أن تأتيك الشدائد لكي تتضع وتطلب الله بغيرة واجتهاد. وكما يحدث في

حالة إنسان فقير في الماديات وجد كيس ذهب وبخفة الفرح بدأ يصيح: " لقد وجدت كيسًا من الذهب وصرت إنسانًا غنيًا" وحينئذ يسمع صاحب الكيس الذي فقده فيأتي ويأخذ ذهبه.

وإنسان آخر كان غنيًا، وفقد اتزانه وبدأ يرفس الناس، ويحتقر كل واحد، ويعظِّم نفسه على غيره من الأشخاص، وحينما سمع الإمبراطور عنه صادر كل ممتلكاته. وهكذا الأمر في المجال الروحاني. فحينما يتذوق بعض الأشخاص قليلاً من العزاء والنعمة، فإنهم لا يعرفون كيف ينتفعون بما نالوا، بل إنهم يفقدون حتى ما قد نالوه لأن الخطية تضلّهم وتُظلِم عقولهم.

النعمة والسقوط وحرية الاختيار :

9ـ سؤال: كيف يسقط البعض بعد افتقاد النعمة له أفلاً يصير الشيطان أضعف بواسطة النعمة؟ وحيث يكون النهار كيف يمكن أن يكون هناك ليل؟

جواب: ليس أن النعمة تنطفئ أو تضعف، بل إن إرادتك وحريتك تُمتحن لكي يتضح إلى أي اتجاه تميل، ولهذا، فإن النعمة تعطى فرصة لوجود الخطية. وحينئذ تقترب أنت ثانية من الرب باختيارك وتتوسل إليه أن تأتيك النعمة وتفتقدك. فإنه مكتوب " لا تطفئوا الروح" (1تس19:5) فالروح نفسه لا يمكن أن ينطفئ، بل هو نور دائم، ولكن إذا كنت أنت مهملاً، فبعدم توافقك وتعاونك مع الروح فإنك تنطفئ وتفقد الروح. وبالمثل يقول الكتاب " لا تحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أف30:4) وأنت ترى هنا، أنك متروك لاختيارك وحريتك أن تكرم الروح القدس ولا تحزنه. وإني أؤكد لك أن حرية الاختيار تظل باقية حتى في المسيحيين الكاملين الذين يُسبون بالصالحات ويسكرون بها، والنتيجة أنهم رغم تعرّضهم لآلاف من الشدائد والشرور فإنهم يتجهون إلى الصلاح.

10ـ وحينما يترك بعض الأشخاص ـ من ذوي الرتب والثراء والنسب ـ أموالهم ويلبسون ثيابًا فقيرة رثة ويقبلون المسكنة والإهانات بدلاً من التكريم والاحترام، ويحتملون الشدائد ويُحسبون بلا كرامة، فإنهم إنما يفعلون هذا باختيارهم وإرادتهم. وصدقني أن الرسل أنفسهم الذين كانوا كاملين في النعمة، لم تكن النعمة تمنعهم من أن يفعلوا ما يريدون، إن رغبوا أحيانًا أن يفعلوا شيئًا غير موافق للنعمة. إن طبيعتنا البشرية معرّضة لكل من الخير والشر، والقوة المعادية تعمل عن طريق الحث والإغراء وليس عن طريق الإجبار. وأنت تملك الحرية أن تميل إلى الاتجاه الذي تريده. ألم تقرأ ما هو مكتوب أن بطرس "كان ملومًا" (غل11:2). وأن بولس قاومه مواجهة. فرغم كل ما كان عليه بطرس من نعمة فإنه استوجب التوبيخ. وبولس ، مع كل الروحانية التي كان عليها، فإنه تشاجر مع برنابا حتى فارق أحدهما الآخر (أع39:15)، وبولس نفسه أيضًا يقول " اصلحوا أنتم الروحانيون مثل هذا.. ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضًا" (غل1:6). إذن فالروحانيون يُجربون لأن حرية إرادتهم باقية، والأعداء يحاربونهم ماداموا في هذا العالم.

11ـ سؤال: ألم يكن الرسل يستطيعون أن يخطئوا لو أرادوا ذلك؟ أم أن النعمة كانت قوية جدًا فوق إرادتهم؟

جواب: إنهم لم يكونوا يستطيعون أن يخطئوا، لأنه لم يكن في استطاعتهم أن يختاروا الخطية لكونهم في النور وفي ملء النعمة. وأنا لا أقول إن النعمة كانت ضعيفة فيهم ولكن ما أقول إن النعمة تسمح حتى للأشخاص الروحانيين الكاملين أن تكون لهم حرية الإرادة، وأن يكون لهم السلطان أن يفعلوا ما يختارون، وأن يتجهوا الاتجاه الذي يرغبونه. والطبيعة البشرية، إذ هي ضعيفة لها الإمكانية أن تميل إلى الشر حتى مع وجود الصلاح والنعمة فيها. وكما أن هناك أناسًا يلبسون السلاح الكامل من الرأس إلى القدم مع الدروع وغيرها من الأسلحة، فإنهم حينئذ يكونون محفوظين في الداخل ولا يستطيع الأعداء أن يهاجموهم، فإنهم في استطاعتهم إمّا أن يستخدموا أسلحتهم ويحاربوا ويجاهدوا ضد الأعداء وينتصروا أو أن يصالحوا الأعداء ويعقدوا معهم صلحًا ويكفوا عن محاربتهم رغم أنهم يملكون السلاح. وبنفس الطريقة، فإن المسيحيين المسلحين بالقوة الكاملة والذين يملكون السلاح السماوي يستطيعون إن أرادوا أن يتصالحوا مع الشيطان ويكفوا عن الحرب. إن الطبيعة البشرية معرّضة للتغيّر، والإنسان يستطيع إذا أراد أن يصير ابنًا لله أو ابنًا للهلاك. وفي هذا يتضح أن حرية إرادتهم هي التي تحدد ماذا يكون.

أهمية الاختبار وبرهان الروح :

12- إن مجرد الحديث عن الأطعمة والمائدة شيء وأما أن تأكل وتتمتع بالطعام لتقوية أعضاء جسدك فهذا شيء آخر تمامًا. والحديث عن مشروب لذيذ بالكلمات شيء، وأما الاقتراب من الينبوع نفسه والشرب منه حتى الارتواء فهذا شيء آخر. وأن تتحدث عن الحروب وعن الأبطال والمحاربين الشجعان هذا شيء ولكن ذهاب الإنسان إلى المعركة في الطليعة ومحاربة الأعداء وجهًا لوجه ومناورتهم والأخذ والعطاء معهم والانتصار عليهم فهذا شيء آخر تمامًا.

وبالمثل في الأمور الروحية: الكلام والحديث بالمعرفة والأفكار العقلية هذا شيء، وأما الجوهر والحقيقة في ملء الاختبار وفي الإنسان الداخلي وامتلاك كنز ونعمة ومذاقة وفاعلية الروح القدس في القلب فهذا شيء آخر. لأن أولئك الذين يتكلمون مجرد كلمات عارية يعيشون في اوهام، " وينتفخون في ذهنهم" (كو2:8). والرسول يقول: " وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة" (1كو2:4) وأيضًا يقول: " إن غاية الوصية هي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (1تى1:5). ومثل هذا الإنسان لا يسقط. وكثيرون من الذين يطلبون الله ينفتح لهم الباب ويبصرون الكنز ويدخلون فيه، وبينما هم يفرحون بهذا ويقولون " لقد وجدنا الكنز" فإنه يغلق الأبواب. ويبدأون بالصراخ والطلب والتوسل كثيرًا ويقولون " لقد وجدنا الكنز وضيعناه". فإن النعمة تنسحب بقصد وتدبير لكي ما نسعى ونطلب باجتهاد وغيرة. والكنز يُكشف لنا لكيما يجعلنا نسعى في طلبه.

13- سؤال: يقول البعض إن الإنسان بعد أن ينال النعمة مرة فإنه يعبر من الموت إلى الحياة. فهل من الممكن لمن قد صار في النور أن تكون عنده أفكار غير طاهرة؟

جواب: مكتوب " أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون بالجسد" (غل3:3) وأيضًا يقول " ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف6:11).

وهذه النصوص تبين وجود وضعين: الأول هو الذي يكون فيه الشخص حينما يكون لابسًا سلاح الروح، والآخر حينما يحارب مع السلاطين والرؤساء سواء في النور أو الظلمة. ومكتوب أيضًا " لكي تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة" (أف16:6). وأيضًا " لا تُحزنوا روح الله القدوس" (أف30:4) وأيضًا " لأن الذين استُنيروا مرة وذاقوا موهبة الله وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضًا"(عب4:6). فهناك أولئك الذين استُنيروا وذاقوا الرب ومع ذلك يسقطون. ومن ذلك نرى أن الإنسان يملك الإرادة أن يحيا في توافق وانسجام مع الروح، وأيضًا يملك الإرادة أن يحزنه. وهو يأخذ الأسلحة لكي يذهب إلى المعركة ليحارب الأعداء. إنه بالتأكيد قد استنار حتى يمكن أن يحارب ضد الظلمة .

الفرق بين المواهب والمحبة الكاملة :

14- سؤال: ماذا يعني الرسول بقوله " إن كان لي كل علم وكل نبوة وأتكلم بألسنة الناس والملائكة فلست شيئًا" (1كو13: 1-3).

جواب: لا ينبغي أن نفهم من هذا الكلام أن الرسول ليس بشيء ولكنه يعني أن كل هذه المواهب ليست شيئًا بالمقارنة بالمحبة الكاملة، وهذه كلها لها أهمية قليلة. والذي له مثل هذه المواهب يمكن أن يسقط. أما الذي يملك المحبة فلا يمكن أن يسقط. وإني أؤكد لكم هذا، إني قد رأيت أشخاصًا نالوا كل المواهب الروحية وكانوا شركاء للروح ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة فقد سقطوا. وأحد هؤلاء - وقد كان من النبلاء - رفض العالم وباع كل ممتلكاته وأطلق عبيده أحرارًا، ولأنه كان ذو حكمة وفهم، فقد نال شهرة كبيرة بسبب شدة تنسكه في الحياة. ولكنه - في نفس الوقت - كانت له أفكار عالية عن نفسه، وكان متكبرًا، ففي نهاية الأمر سقط في نجاسة فاضحة وآلاف أمور ردئية.

15- وإنسان آخر في زمن الاضطهاد، قدَّم جسده وصار معترفًا. ولما انتهي زمان الاضطهاد وأُطلق حرًا صارت له شهرة عظيمة لأن جفون عينيه كانت محترقة. وأيضًا هذا الإنسان نال مجدًا كثيرًا من الناس وكانوا يطلبون صلواته وصار يأخذ منهم نقودًا وتقدمات ويعطيها لخادمه. وتغيرت أفكاره حتى صار كأنه لم يسبق له أن سمع كلمة الله. وآخر قدّم جسده في زمن الاضطهاد، وعلقوا جسده وجلدوه ثم ألقوه في السجن، وهناك كانت تخدمه إحدى الراهبات، وقد كوّن ألفة معها أثناء وجوده في السجن وسقط معها في الزنى. فانظر كيف أن الرجل الغنى، بعد أن باع كل ممتلكاته، وكذلك الذي قدَّم جسده للاستشهاد كلاهما يمكن أن يسقط.

16 - كان هناك ناسك حكيم، وكان يعيش معي في إقامة واحدة وكان يصلي معي، وكان غنيًا جدًا في النعمة حتى أنه حينما كان يصلي بجواري كانت تغمره الندامة والدموع، وكانت النعمة تغلي في داخله. وقد أُعطى موهبة الشفاء، ولم يكن يطرد الشياطين فقط، بل كان يضع يديه على أولئك المربوطين والمعذبين بأمراض خطيرة فيشفيهم. ثم بعد ذلك بدأ يتهاون لأنه كان ينال مجدًا كثيرًا من العالم: وكان يجد متعة ولذة في هذا المجد، وصار منتفخًا. وسقط إلى أعماق الخطية. فأنظر كيف أن الذي كانت له موهبة الشفاء قد سقط. ألاّ ترى أنهم يسقطون قبل أن يصلوا إلى المحبة الكاملة. لأن الذي يصل إلى المحبة يؤسر منها ويسكر بها. إنه يغطس فيها ويُمسك أسيرًا في عالم آخر، وكأنه لا يعرف شيئًا عن طبيعته القديمة.

معنى " ما لم تره عين .. ":

17ـ سؤال: ما معنى الآية التي تقول: " ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر" (1كو9:2)؟

جواب: في ذلك الزمان كان الأبرار والعظماء والملوك والأنبياء يعرفون أن المسيح لابد أن يأتي. ولكنهم لم يكونوا يعرفون ولا كانوا قد سمعوا أنه سيتألم ويُصلب ويُسفك دمه على الصليب ولم يخطر على بالهم أنه ستكون هناك معمودية بالنار والروح القدس وأن في الكنيسة ستُقدّم تقدِمة الخبز والخمر مثالاً لجسده ودمه، وأن أولئك الذين يتناولون الخبز المنظور سيأكلون جسد الرب روحيًا، وأن الرسل والمسيحيين سينالون المعزي " ويتأيدون بالقوة من الأعالي" (لو 49:24) ويمتلئون باللاهوت، وأن نفوسهم تمتزج بالروح القدس وتتشبع به، هذا لم يعرفه الأنبياء والملوك ولا خطر على قلبهم. والآن فإن المسيحيين يتمتعون بغنى عظيم يختلف عن غيره، وقلوبهم ممسوكة بشهوة اللاهوت، ولكن برغم كل ما يتمتعون به من فرح وتعزية فإنهم لا يزال عندهم، خوف ورعدة.

18 ـ سؤال : أي خوف ورعدة ؟

جواب: لئلا يتخذوا خطوة خاطئة، بل يظلون متوافقين مع النعمة. ومثل إنسان يملك كنوزًا كثيرة، ويسافر في رحلات حيث يوجد بعض اللصوص. فرغم أنه يفرح بغناه وكنوزه ولكنه يخاف لئلا يهاجمه اللصوص وينهبوه، ويكون كمن يحمل دمه على يديه. فأنظر ها نحن من جهة الأمور الخارجية، قد تخلينا جميعًا عنها وصرنا غرباء لا نملك شيئًا، وتركنا كل عشرة جسدية مع العالم. والآن حينما يكون الجسد في وضع الصلاة فإن الاخوة هم الذين يرون هل العقل أيضًا متحد مع الجسد ومشترك في الصلاة أم لا؟ فإنه في حالة العمال المهرة والبنائين في العالم، فإنهم يكونون مقيدين بجسدهم وعقلهم ليلاً ونهارًا في حرفتهم. فأنظر الآن جيدًا إلى نفسك: إنك متغرب بالنسبة للعالم، فهل عقلك متغرب عن العالم ولا يرتبط بأمور هذا العالم؟

إن كل إنسان في العالم، سواء كان جنديًاأو تاجرًا حيثما يكون جسده فإنه هناك يكون عقله وهناك يكون كنزه، كما هو مكتوب "حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضًا" (مت12:6).

ما هو كنزك؟:

19ـ والآن ما هو الكنز الذي يميل إليه قلبك ويسعى إليه. هل هو يميل كلّيةً وتمامًا إلى الله أم لا؟ فإن لم يكن مائلاً إلى الله فأخبرني ما هو الذي يمنعك من ذلك، فبالتأكيد هناك الأرواح الشريرة، أي الشيطان وجنوده الذين يجذبون العقل ويربطون النفس بالأغلال، لأن الشيطان ماكر جدًا وله حيل وخدع كثيرة من كل نوع، وهو يستولى على مراعي النفس وأفكارها ولا يدعها تصلي الصلاة الصحيحة وتقترب من الله. الطبيعة البشرية عندها القابلية لتكوين شركة مع الشياطين وأرواح الشر، كما أن عندها قابلية أيضًا لتكوين الشركة مع الملائكة والروح القدس، فمن الممكن أن تكون هيكلاً للشيطان أو هيكلاً للروح القدس.

والآن افحصوا عقولكم يا اخوة، مع من أنتم في شركة؟ هل مع الملائكة أم مع الشياطين؟ وأنتم هيكل لمن: هل أنتم مسكن لله أم للشيطان؟ وما هو الكنز الذي يملأ قلبك: هل النعمة أم الشيطان. وكمثل بيت قد امتلأ بالروائح الكريهة والقذارة، ينبغي أن يتم تنظيفه تمامًا ويُنسق ويمتلئ بكل رائحة طيبة وبكل الكنوز، لكي يأتي الروح القدس بدلاً من الشيطان ويجد راحة في قلوب المسيحيين.

20 ـ وفي الحقيقة فإن الإنسان حينما يسمع كلمة الله لا يتحول في نفس اللحظة إلى جانب الصلاح. فلو أن مجرد الاستماع يجعله بين الصالحين لما كان هناك صراع أو أوقات حروب أو جهاد إذ أنه بمجرد سماعه فقط يتمتع براحة كاملة وبحالة سلام وكمال. ولكن حقيقة الأمر تختلف عن كل ذلك فإن الذين يظنون أن الأمور تسير هكذا إنما ينتزعون من الإنسان حرية اختياره وأيضًا ينكرون بذلك وجود قوة معادية تحارب ضد الإنسان. أما ما نقوله نحن فهو، إن الإنسان الذي يسمع الكلمة ويقبلها فإنها تقوده إلى التوبة، ثم بعد ذلك تنسحب النعمة قليلاً بتدبير عناية الله لأجل نمو الإنسان ومنفعته، فيدخل في التدريب ويتعلّم نظم الحرب، ويدخل في عراك وحرب ضد الشيطان وبعد كفاح طويل وعراك ينال الانتصار ويصير مسيحيًا. فلو كان مجرد الاستماع يجعل الإنسان من القديسين والصالحين لكان رجال اللهو وكل الزناة قد دخلوا إلى الملكوت والحياة الأبدية. ولكنهم لن يُعطى لهم هذا بدون توبة وجهاد لأن الطريق مستقيم وضيق (مت 14:7) وفي هذا الطريق الكرب ينبغي أن نسير ونحتمل الشدائد بصبر وهكذا ندخل إلى الحياة.

الاختيار بين الصلاح والشر ـ مكافأة اختيار الصلاح:

21 ـ فلو أن النجاح الروحي ممكن بدون أي جهد، لما كانت المسيحية " حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو33:9). ولما كان هناك إيمان وعدم إيمان. وبذلك فإنك تجعل من الإنسان مخلوق على الضرورة والإجبار، غير قادر على الاتجاه إلى الخير أو إلى الشر. والقانون يُعطى فقط لمن يستطيع أن يتجه لأي من الاتجاهين ـ يُعطى لمن له الحرية أن يدخل المعركة ضد القوة المعادية. ولا يمكن أن يوضع قانون لطبيعة تسير بالإجبار. إن الشمس والسماء والأرض لا تحتاج أن تُسن لها قوانين، فإن مثل هذه المخلوقات طبيعتها محكومة جبريًا، ولهذا السبب فإنها لا تنال مكافأة ولا عقاب.. إن المكافأة والمجد إنما هي مُعدة لمن يتجه إلى الصلاح، أما جهنم والعقاب فهي مُعدة لهذه الطبيعة المتغيّرة، التي في استطاعتها أن تهرب من الشر، وتلقى بكل كيانها إلى الجانب اليمين أى جانب الصلاح والخير. فإذا قلت إن الإنسان طبيعته غير متغيّرة فهذا يخالف حقيقة الواقع، ثم إنك تجعل الإنسان غير مستحق لأي مجد أو مدح من الله. فإن الذي هو صالح ورحوم بطبيعته، لا يستحق أي مدح على ذلك مع أن هذا (الصلاح والرحمة) أمر محبوب ومرغوب. إن من لا يصير في حالة الصلاح باختياره، لا يستحق المدح ، مهما كان الصلاح مرغوبًا فيه. إن المدح إنما يستحقه ذلك الإنسان الذي يقرر هو شخصيًا ويتعهد مع الله بتعب واحتمال أن يكون الصلاح هو اتجاهه الشخصي واختياره الحر.

قوة العقل تعادل قوة الشرير ـ الانتصار بقوة النعمة :

22ـ فإذا كان معسكر الفرس في مواجهة معسكر الرومان فينبغي أن يخرج شاب مُجنح من كل معسكر منهما، لهما قوة متساوية ليصارعا في المعركة. فبالمثل فإن العقل البشري والقوة والمعادية هما متساويان في

القوة في حربهما ضد بعضهما. فالشيطان يحث ويغري الإنسان لكي يتبعه، والإنسان له قوة معادلة ليرفض إيحاءاته ولا يطيعه بأي حال، وكل من الشر والخير يعمل عمله بالحث وليس الإجبار. ومعونة النعمة الإلهية تُعطى لمن يختار الصلاح بحريته، وبدخوله في المعركة فإنه ينال الأسلحة السماوية التي يستطيع بها أن يغلب الشر ويستأصله. أما أولئك الذين يقولون إن الخطية هي عملاق جبار والنفس هي كطفل صغير مخطئون فلو كان الأمر هكذا، حتى أن الخطية تكون قوة عملاقة، والنفس البشرية في قوة طفل صغير، فيكون الله حينئذ ظالمًا، بإعطائه للإنسان قانونًا أن يحارب ضد الشيطان.

أساس الطريق الإلهي :

23 - إن أساس طريق الله هو هذا: الصبر الكثير، والرجاء، والاتضاع، ومسكنة الروح التي أوصانا بها الرب، هي مثل علامات ولافتات في الطريق الملوكي لإرشاد المسافرين إلى المدينة السماوية. لأنه يقول " طوبى للمساكين بالروح، طوبى للودعاء، طوبى لصانعي السلام" (مت3:5). وهذه هي المسيحية. أما الذي لا يسير في هذا الطريق فإنه يضلّ إلى حيث لا طريق. ويكون قد بنى على غير أساس.

والمجد لتحننات الآب والابن والروح القدس إلى الأبد . آمين